

كلمة صغيرة

المتداعون على السلام مع العدو الصهيوني كداعي الذباب على الشراب هل هم حقاً يعرفون (يهود) حق المعرفة؟ أم أنهم تعبوا من (الكافح الصوتي) منذ عام ١٩٤٨؟. الحقيقة أنهم لا يعرفون (العدو) فعلاً لاسيما حتمية وقوع ملحمة كبرى بيننا وبينهم سيكون النصر فيها للمسلمين. وحتى ننتصر على هذا العدو لا بد أن نعرفه حق المعرفة وألا نضل أجيالنا بالأكاذيب مثل (حتمية السلام) و (الدعوة لإزالة الحاجز النفسي) و (التقرير بين اليهود والصهاينة) فلابد من إعداد العدة ، وما علينا أن ندرك شرف (نداء الشجر والحجر) بل حسبنا أن تكون عاملين في سبيل الوصول إليه ((وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ)).

الافتتاحية

من كان يظن أن لن ينصره الله

التحرير

والآن ، أسفر صباح الحقيقة ، وتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود في مستقبل قضية فلسطين ، واستسلمت كل الرأيات ، ورضي رئيس منظمة التحرير أن يبيع كل شيء، التاريخ ، والحق ، والعدل ، ودماء الشهداء ، ومستقبل الأجيال ، والقدس ، مقابل أن ينصبه إسحق رابين رئيساً لبلدية "أريحا" ، وفوقها "غزة" مجاناً ، إذ من المعلوم أن إسرائيل قد عرضتها مجاناً لمن يقبل منها أشهر ، لولا تدخل بعض الوسطاء بطلب التأجيل حتى لا تقع في يد الأصوليين. إذن لقد نكست الرأيات جميعها ، الوطنية ، والشيوعية ، والاشتراكية ، والقومية ، والثورية عدا بعض الجهات اليسارية المعارضة ، و موقفها ظل لموقف إحدى الدول العربية ، والمتوقع تغييرها له بتغيير رأي تلك الدولة نفسها ، وبقيت رأية واحدة تعلن الرفض ، وتتمسك بثوابت التاريخ والحق ، وتقيي وتحمل الأمانة إلى الأجيال القادمة ، تلك هي رأية الإسلام ، وأولئك هم أبناء الصحوة الإسلامية المجاهدة في فلسطين وفي أرض الله الواسعة كذلك.

ومما هو جدير بالذكر الآن ، أن هذه الرأيات المنكوسة ، هي ذاتها التي حاربت رأية الإسلام على مدى نصف قرن ، وقهرت كل من حاول رفعها في العديد من ديار الإسلام ، وذلك باسم "قضية فلسطين" ، "ولا صوت يعلو فوق صوت المعركة" ، ومنذ ذلك التاريخ ، وفلسطين تضيع قطعة قطعة ، حتى أتى (آخر الثوار) ليسلم رايته مقابل "عزبة"!!

إن الغضب الإسلامي مشروع ولا ريب.. الغضب لله ولدينه ولحرماته ولمسجده الأقصى ، ولكن الذي ينبغي الحذر منه، أن يصبح الغضب فورة عاطفة ، وانفلاتة أعصاب ومشاعر، دون أن تقنن هذه العاطفة وتلك المشاعر في خطط جديدة طويلة الأمد ، ندير من خلالها صراعنا الجديد/القديم مع اليهود ، ونظام الظلم العالمي الجديد.

إن ما حدث أخيراً، هو مفتاح جديد للتاريخ، بالقدر نفسه الذي يمثل نهاية مرحلة وتاريخ، وهذا التاريخ الجديد ، يتحمل فيه الإسلاميون وحدهم - عبء المواجهة ، وتباعات الجهاد الأكبر ، وفي الصفحة الأولى من صفحات التاريخ الجديد ، نقرأ المعالم التالية :

أولاً: إن قضية فلسطين ليست - كما يدعى الساقطون اليوم - شأنًا فلسطينياً مجرداً ، وذلك ليقطعوا فلسطين حكماً عن الإسلام وعالمه ومجاهديه، بعد أن قطعواها عملياً عنه، بل إن (فلسطين) شأن كل مسلم ، والإثم يلحق الأمة بأسرها إذا فرطت فيها.

ثانياً: إن قضية فلسطين ليست قضية جيل من الأجيال ، ببيع فيها ويشتري ، وإنما هي ميراث أجيال مضت ، وحقوق أجيال قادمة ، وإذا عجز جيل عن الوفاء بحقها ، فحسبه أن يعلن عجزه، ويخلّي السبيل لغيره من الأجيال الجديدة ، فالعجز ليس - دائمًا عيباً ، طالما استندت الجهود ، وأدّى المؤمنون الأمانة ، وإن العيب كله أن يأبى العاجز ، إلا أن يفرض عجزه وهزيمته على الأجيال كلها ، سابقها ولحقها.

ثالثاً: إن شيئاً كبيراً من الجهاد المتعلق بفلسطين ، لا بد أن يتوجه إلى العقول والمشاعر ، لكي تظل رسالة الجهاد والتحرير في خواطر الأجيال لأن "الخطر" ليس في الهزيمة على الأرض ، أو ضياع جزء منها في زمان ما فهذا كله من عوارض المواجهة ، وتدالو الأ أيام ، وإنما الخطر كله أن تصبح الهزيمة في النفوس والعقول والأفكار ، فهذا هو الضياع وهذا هو "القبر" الحقيقي لقضية فلسطين. إن التجبر الذي بلغه "يهود" الآن ، واستعلاءهم في الأمة ، والأوضاع التي آلت إليها موازنات القوى في العالم اليوم ، بما في ذلك المنطقة العربية ، يؤذن بصعوبة المهمة ، وجسامه التحدى ، وأيضاً - وهذا هو المهم - يؤذن بأن "الوقت" هو سلاح جوهرى في هذه المواجهة، فالواضح حتى الآن، أن الأمر سيطول، وصاحب النفس الأطول هو المؤهل لكسب السباق ، وقصر النفس واستعجال النصر واستصعب المسافة ، كلها مورثات للعجز ، ومثبات للعزائم ، وعجز العاجزين ينتهي - عملياً- إلى ذات النتيجة التي ينتهي إليها فجور الفاجرين.

عن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قال : «كيف أنتم إذا انفرجتم عن دينكم ، كما تنفرج المرأة عن قبّلها لا تمنع من يأتيها» ، قالوا: لا ندري! ، قال : «ولكني والله - أدرى - أنتم يومئذ بين عاجز وفاجر» (١).

نسأل الله البراءة من عجز العاجزين ، وفجور الفاجرين.

رابعاً: إن الثقة بنصر الله ، وعونه ووعده الحق لمن جاهد في سبيله ، هي زاد الطريق ، ومفتاح الأمل ، ونور الأجيال الإسلامية التي تبصر بها آفاق زاد الطريق ، ومفتاح الأمل ، ونور الأجيال الإسلامية التي تبصر بها آفاق الرحلة ، وتبقى "لحظة النصر" و "بشرارة التمكين" حية شاخصة في روى المجاهدين ومشاعرهم ، وإن من فقد هذه الثقة بالله ونصره ، فقد خسر خساناً مبيناً ، ومن تشكك فيها لحظة ، فقد تأخر عليه النصر على قدرها ، ((منْ كَانَ يَظْنُ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ فَلَيْمَدُّ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لَيُقْطَعُ فَلَيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدُهُ مَا يَغْيِظُ * وَكَذَلِكَ أَنَّزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ)). (٢)

الهوامش :

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ، والحاكم في المستدرك وصححه على شرط الشيخين وهو عند أحمد "المسندي" بلفظ قريب ، وصححه أحمد شاكر في التعليق على المسند.

(٢) سورة الحج / الآياتان ١٥ ، ١٦ ..

مصطلحات الشرك

عثمان جمعة ضميرية

خلق الله تعالى هذا الإنسان على فطرة التوحيد والإسلام متلهياً لقبول الدين ، فلا يعدل عن هذا وينحرف إلا لآفة تنحرف بهذه الفطرة وذلك عندما تتضافر جملة من العوامل التي تساعد على الانحراف ، فيقع الإنسان عندئذ في واحدة من صوره كالشرك والنفاق. وسقف - إن شاء الله تعالى - على كل واحدة من هاتين الصورتين بكلمة تعريفية موجزة، تحدد معناها اللغوي والاصطلاحي ، وأصل نشأتها ، وبعض صورها.

- ١ -

إذا استطعنا كتب اللغة وجدنا أن "الشين والراء والكاف" أصلان يدل أحدهما على اقتران وعدم انفراد... وهو أن يكون الشيء بين اثنين ، لا ينفرد به واحد منهما.

يقال : «شاركتُ فلاناً في الشيء ؛ إذا صررتُ شريكه. وأشركتكُ فلاناً : إذا جعلته شريكًا» والشرك أيضاً : إسناد الأمر المختص بواحدٍ إلى من ليس معه أمره. يقال : أشرك بالله : جعل له شريكًا في ملكه تعالى الله عن ذلك ... ومن عدل بالله تعالى شيئاً من خلقه فهو كافر مشرك ؛ لأن الله وحده لا شريك له ، ولا ند له ولا نديه(١)

- ٢ -

وفي الاصطلاح الشرعي : يطلق لفظ الشرك على نوعين : أحدهما : إثبات شريك الله تعالى ، وهو الشرك الأكبر.

والثاني : مراعاة غير الله تعالى في بعض الأمور ، وهو الشرك الأصغر. فالشرك الأكبر وهو أن يتخذ مع الله تعالى ، أو من دون الله ، إلهاً آخر ، يعبده بنوع من أنواع العبادة.

قال ابن القيم: "والشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه وهو أن يتخذ من دون الله ندأ يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين".(٢)
وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ :

«الشرك قد عرّفه النبي صلى الله عليه وسلم - بتعريف جامع ، كما في حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال يا رسول الله : أي الذنب أعظم؟ قال : «أن تجعل الله ندأ وهو خلقك» أخرجه البخاري ومسلم ، والنـد : المثل والشبيه ، فمن صرف شيئاً من العبادات لغير الله فقد أشرك به شركاً يبطل التوحيد وينافيـه». (٣)

وعرف الشيخ عبد الرحمن السعدي هذا الشرك بتعريف جامع مانع قال : «إن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده أن يصرف العبد نوعاً أو فرداً من أفراد العبادة لغير الله ، وكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع ، فصرفه الله وحده توحيد وإيمان وإخلاص ، وصرفه لغيره شرك وكفر ، فعليك بهذا الضابط الذي لا يشذ عنه شيء». (٤)
وهذا أعظم الشرك والظلم، ولا يغفره الله لصاحبـه إن مات عليه، لأنـه ينافـض أصل التـوحـيد ويـخرج صاحـبه عنـ المـلة ، ويـحـبـط عملـه ، ويـخـلـدـ فيـ النـار. وإذا أطلـقـتـ كـلـمـةـ الشـرـكـ فإنـهاـ تـنـصـرـ إلىـ هـذـاـ النوعـ منهـ.

- ٣ -

وأصل هذا الشرك ومنشأه هو : تسوية غير الله بالله تعالى ، أو هو تشبيه غير الله بالله تعالى في صفة من الصفات التي يختص بها ؛ مما لم يعهد في جنس الإنسان ، فالذى يعبد كائناً ما من دون الله فيدعوه أو يطلب منه الشفاعة أو يخافه ، أو يتخذ حكمه شرعاً له... إنما يفعل ذلك لأنه يعتقد أنه صاحب سلطة وحكم على الخلق..

يقول ابن تيمية : «وأصل الشرك أن تعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده ، فإنه لم يعدل أحد بالله شيئاً من المخلوقات في جميع الأمور ، فمن عبد غيره أو توكل عليه فهو مشرك ». (٥) والصورة الواضحة الجلية لهذا الشرك هي عبادة الأصنام ، التي كانت تتخذ سابقاً في عصور الجاهلية القديمة من حجر أو خشب... ولكنها تظهر في عصور أخرى بمظاهر شتى قد تكون مذهبأً من المذاهب الفكرية ، أو الاقتصادية وقد تكون أهواه وشهوات يخضع لها الناس فيتخذونها آلهة.. وقد تكون الأصنام مجموعة من القيم الاجتماعية والمادية التي تسيطر على الناس ، على ما حكاه الله تعالى عن أقوام فقال : ((أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ)) [الجاثية: ٢٣]

((مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَيَّنَتْهَا نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَخَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [هود: ١٥، ١٦].

- ٤ -

ويبيح العلماء تحت هذا الشرك أنواعاً من العبودية لغير الله ، كشرك الدعاء سواء كان دعاء عبادة وثناء ، أو دعاء طلب ومسألة ، مما لا يجوز أن يتوجه به إلا الله تعالى وحده ، لأن الدعاء هو العبادة. وكذلك شرك العبادة والتقرب الذي يظهر جلياً وواضحاً في عبادة الأصنام وإعطائهما بعض خصائص الألوهية ، أيًّا كانت هذه الأصنام وبأي صورة ظهرت. ولا يقل عن هذا اللون من الشرك ما يسمى أيضاً بشرك طلب الشفاعة من غير الله ، فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى.. وكتب العقيدة والتوحيد أفضلت في بيان ذلك كله.

وتبقى ألوان أخرى من الشرك الأكبر قد تكون اتسعت دائرتها في العصور الأخيرة ، أكثر مما كانت في عصور سابقة ، وذلك هو شرك الطاعة والاتباع ، وشرك المحبة والنصرة.

- ٥ -

فقد اتفق العلماء على أن الحكم لله وحده سبحانه وتعالى ، فهو المتفرد بالخلق فينبغي أن يكون متفرداً بالأمر. فلا أحد يستحق أن ينفذ حكمه على الخلق إلا من كان له الخلق والأمر - سبحانه وتعالى - فإنما النافذ حكم المالك على مملوكته، ولا مالك إلا الله الخالق، فلا حكم ولا أمر إلا له. أما غيره سبحانه ، فلا يجب شيء بإيجابه ، بل بإيجاب الله تعالى طاعتهم (٦).

وقد تواردت النصوص الشرعية تؤيد هذا المنطلق السليم وتوكده ، فهي تلزم البشر باتباع ما جاء من عند الله تعالى ، وتحرم عليهم تحريماً قاطعاً اتباع ما يخالفه : ((اتَّبِعُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)) [الأنعام: ٦] ، ((اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ)) [الأعراف: ٣] ...

والآيات في ذلك كثيرة تعز على الحصر.. توجب الحكم بما أنزل الله وتحكم بالكفر والفسق والظلم على كل من يخالف حكم الله تعالى.

ولذلك كان كل من أطاع مخلوقاً في تحريم الحلال أو تحليل الحرام - وهو متبوع له في هذا التبديل - فهو مشرك شرك الطاعة والانقياد والاتباع (٧).

وقد حكم الله على اليهود والنصارى بالشرك لاتباعهم الأخبار والرہبان واتخاذهم أرباباً من دون الله ، ثم بين النبي صلى الله عليه وسلم- ذلك بياناً واضحاً ببيان ما هي العبادة التي وقعوا فيها.(٨) وهذا النوع من الشرك يعم اليوم أصقاعاً وبقاعاً كثيرة في بلدان العالم ، بعد تنحية الشريعة الإسلامية عن الحكم في شؤون الحياة كبيرة وصغيرة ، وحصرها في جوانب ضيقة ، واستبدلوا بها القوانين الوضعية التي ارتضاها الناس لأنفسهم بمعزل عن دين الله تعالى وشرعه. ولذلك كان من الواجب العناية بهذا اللون من الشرك وبيان خطورته ، وإن كان ذلك سيؤدي إلى تكاليف باهضة يحتسبها المسلم عند الله تعالى.

وأما شرك المحبة والنصرة والولاء فيكون عندما يتوجه الإنسان بالمحبة لغير الله تعالى ، إذ من مقتضيات التوحيد وأصول العبادة أن نفرد الله تعالى بالمحبة التي لا تصلح إلا له «وهي حب طاعته والانقياد لأمره» وإلا وقع الشرك الذي جاء التحذير منه ، عندما تكون المحبة لأعداء الله ، عند موالاة الكافرين ونصرتهم ، لأن في ذلك نقضاً للميثاق ولكلمة التوحيد ، وخروجاً على مقتضيات الإيمان : ((لا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَإِنَّمَا مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ)) [آل عمران: ٢٨] ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أُولَئِكَ بَعْضُهُمُ أُولَئِكَ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)) [المائدة: ٥١].
وأما تعريف الشرك الأصغر فهو ما أتى في النصوص الشرعية أنه شرك ، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر .

ومن أمثلة هذا الشرك : التطير ؛ وهو التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ لم والبقاء وغيرها.
ومن الشرك الأصغر : شرك الألفاظ كالحلف بغير الله ، وقول أحدهم: ما شاء الله وشئت ، ولو لا الله وفلان... إلخ.

ومن الشرك الأصغر : يسير الرياء لقوله صلى الله عليه وسلم- : (إن يسير الرياء شرك). وفي ختام هذه المقالة ندعو بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم- في قوله: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم واستغفر لك لما لا أعلم».

الهوامش :

- (١) معجم مقاييس اللغة : ٣ / ٣٦٥ ، لسان العرب : ٤٤٩/١٠ - ٤٥٠ .
- (٢) مدارج السالكين : ١ / ٣٣٩ .
- (٣) الدرر السننية : ١٥٣/٢ .
- (٤) القول السديد : ٤٣ .
- (٥) الاستقامة : ٣٤٤/١ .
- (٦) المستصفى لغزالى : ٨٣/١ ، الإحکام في أصول الأحكام للآمدي : ١/١ ، مسلم الثبوت : ١/٢٥ ، وشرح الكوكب المنير: ٤٨٤/١ ، قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام: ١٥٧/١ - ١٥٨ .
- (٧) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ٩٧/١ ، ٩٨ ، ٣٢٨/١٤ ، ٧٠/٧ . وتنوير العزيز الحميد (٥٤٣).
- (٨) انظر: تفسير الطبرى ٤٢١٠/١ ، والبغوي : ٤/٣٩ ، تفسير ابن كثير: ٣٢٢/٣ - ١٢٣ . مفاهيم ينبغي أن تصحح ، للأستاذ/ محمد قطب ، فصل "مفهوم لا إله إلا الله".

سد الذرائع

- ٢ -

هيثم الحداد

استدل العلماء على هذه القاعدة (سد الذرائع) بالنقل والعقل، والمتأمل في هذه الأدلة يجدها تفيد القطع بصحة القاعدة في الجملة.

أما النقل : فيستدل به من عدة أوجه : (١)

أولاً : الله عز وجل إذا حرم شيئاً حرم أسبابه ووسائله ، ولا يعقل كما يقول ابن القيم - رحمه الله - أن يحرم الله شيئاً ويباح أسبابه ووسائله المفضية إليه وهذا واضح في أمور كثيرة. بل إن الشريعة تؤكد على تحريم الوسائل والأسباب إذا كان ما تؤدي إليه من الكبائر ، وأمثلة هذا النوع وشواهده كثيرة جداً ، فقد حرم الله عز وجل الكفر ، وحرم أسبابه ووسائله حتى يصون المؤمنين ، ويبعدهم أشد البعد عن هذا الظلم العظيم. ومن أهم أسباب الكفر اتباع خطوات الشيطان ووسائله ، فحذر الله - عز وجل - من هذه الوسائل، بعدة طرق ، وفي مواطن كثيرة جداً ، قال الله تعالى : ((يا أئيَّهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَبَرَّغُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)) (٢)

ونهى الله - عز وجل - عن اتخاذ المشركين أولياء ، لأن هذا من أسباب محبتهم ومحبة دينهم وهو من ذرائع الكفر ، قال تعالى ((لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أُولَئِيَّاءَ مِنْ ذُونِ الْمُؤْمِنِينَ)) (٣) وقال ((يا أئيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أُولَئِيَّاءَ)) (٤) وبين سبحانه وتعالى علة النهي فقال : ((وَدُوا لَوْ تَكُفُّرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أُولَئِيَّاءَ)) (٥)

كما نهى سبحانه وتعالى عن الإقامة بين أظهرهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - « أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين ، قالوا : يا رسول الله ولم ؟ قال : لا تراءى نارهما (٦) عن مخالطتهم ، لأن مخالطتهم تؤثر على الإيمان ، وتضعف بغضهم وبغض دينهم ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « لا تساكنوا المشركين ولا تجتمعوا بهم ، فمن ساكنهم أو جامعهم فهو مثلهم ». (٧)

بل إنه سبحانه وتعالى نهى عن مشابهتهم للأسباب نفسها أيضاً واستفاضت النصوص في التحذير من ذلك ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « من تشبه بقوم فهو منهم » (٨) ، بل قد حرم الشريعة أموراً لكونها تشبهها بالكفار ، ومن ذلك تحريم التشبه بهم في الملبس والمأكل ، ومنها الصلاة في أوقات معينة ، وغير ذلك كثير.

وبعد فقد حذرت الشريعة أشد التحذير من المعا�ي ومقارفتها لأنها بريء الكفر. ومثل ما تقدم في تحريم الكفر وذرائعه ، والزنا وذرائعه ، كان تحريم الربا وشرب الخمر وذرائعهما ، إلى غير ذلك من المحرمات.

وكل هذه الشواهد تفيد القطع بأن الشريعة إذا حرم شيئاً حرم ذرائعه.

ثانياً : وهذا الوجه من أقوى وجوه الاستدلال على هذه القاعدة وأوضحها ، إذ جاء الشرع بتحريم وسائل لاشك في إباحتها لو تجردت عما أفضت إليه - وقد تتجدد فترجع إلى أصل الإباحة. وإنما حرمها الشارع ، لعلة إفضائها إلى محرم وأدلة هذا الوجه كثيرة أيضاً ، لكن دلالاتها تختلف قوًّة وضعفاً ، بل قد نازع فيها بعض العلماء ؛ لأن تلك العلل غير منصوص عليها ، فلم يتفقوا مع غيرهم على أن علة التحريم هي إفضاؤها إلى محرم ، فكأنهم جعلوا النهي تعدياً ، أو بنوه على علة أخرى. من أجل هذا سأقتصر هنا على تلك الأدلة التي نصت على أن علة تحريم هذه الوسائل إفضاؤها إلى محرم.

الأدلة من الكتاب :

١ - قال تعالى ((وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَذْوَأَ بِغَيْرِ عِلْمٍ)) (٩).
ووجه الاستدلال أن الله - عز وجل - حرم سب الآلهة مع أنه عبادة ، وعلل هذا المنع بكونه ذريعة
إلى سبهم له جل وعلا- فمصلحة تركهم سب الله - سبحانه - راجحة على مصلحة سبنا
لآلهتهم. (١٠)

فالوسيلة هنا هي سب آلهة المشركين ، وأقل أحوالها الاستحباب ، ويغلب على الظن إفضاؤها إلى
سب المشركين لله - عز وجل - .

٢ - قال تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلَ لَكُمْ تَسْوُكُمْ)) (١١) وجه الاستدلال:
أن هذا النص ظاهر في المنع من السؤال المباح ، إذا خيف إفضاؤه إلى محظور، خاصة إذا علم
سبب نزول الآية : وهو أن رجلاً قال : يا رسول الله من أبي؟ قال: فلان، فقالت له أمه : ما
سمعت بابن أعمق منك أظنت أن تكون أمك قارفت ما يقارب نساء الجاهلية ، فتفضحها على أعين
الناس فقال : والله لو أحقني بعده أسود للحق .

وأما السنة فالشواهد كثيرة جداً منها:

١ - تركه صلى الله عليه وسلم- قتل المنافقين ، مع أن في قتلهم مصلحة كبيرة ، ثم علل ذلك بقوله
«حتى لا يتحدى الناس أن محمداً يقتل أصحابه». (١٢)

٢ - وكذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - لعائشة رضي الله عنها: «لولا قومك حديثو عهد بکفر
لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين، باب يدخل منه الناس، وباب يخرجون» (١٣) وقد ترجم البخاري
لهذا الحديث بقوله «باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه ، فيقعوا في
أشد منه». (١٤)

ثالثاً : جاءت الشريعة بالحث على ترك الشبهات ؛ لأن ارتكابها ذريعة إما إلى الوقع في الحرام
بغير قصد ، وإما إلى اتخاذها مطية لأغراض فاسدة ، فمن احتاط لنفسه ، لم يقرب الشبهات ، فلا يقع
في واحد من هذين المحظوريين. وقد حث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ترك الشبهات في
أكثر من حديث ، منها الحديث المشهور عن النعمان بن بشير رضي الله عنه ، وموطن الشاهد
منه : «فمن ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات فقد وقع في
الحرام». (١٥) ، وحديث «دع ما يرribك إلى ما لا يرribك». (١٦) .

ومظاهر العمل بترك الشبهات ، الذي هو عمل بسد الذرائع، كثيرة جداً يطول استقصاؤها ومن
صورها:

١ - أن الشرع حث المسلم على اجتناب مواطن التهم حتى لا يتعرض لإساءة الظن بدينه ، ومن ذلك
قصته - صلى الله عليه وسلم - وصفية رضي الله عنه- حين أراد أن يودعها إلى أهلها فرأها اثنان من
الصحاباة، فأسرعا، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: «على رسلكما ، إنها صفية بنت
حبي» فقا: سبحان الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم- «إن الشيطان يبلغ من ابن آدم
مبلغ الدم وإنني خشيت أن يقذف في قلوبكم شيئاً» (١٧)

٢ - حديث امتناعه - صلى الله عليه وسلم - أن يأكل التمرة التي رأها ملقاء خشية أن تكون من
الصدقة» (١٨) .

رابعاً : أن الله - عز وجل - توعد بالعقاب من يحتال إلى الممنوع بفعل جائز فدل ذلك على تحريم
الفعل الجائز إذا كان يتولى به إلى ممنوع ، وهذا هو عين سد الذرائع.

ومن أشهر أمثلة ذلك : أن الله - جل وعلا- ذم أصحاب السبت ؛ لأنهم احتالوا على ما حرمهم عليهم
من صيد الحيتان يوم السبت ، وابتلاهم الله - عز وجل - بأن جعل الحيتان تأتيهم يوم السبت

شرعًا (ظاهرة) ، ولا تكون على هذه الحالة باقي الأيام ، فاحتالوا على ذلك ؛ بأن حفروا لها حفرًا في البحر تحجزها ليسهل عليهم صيدها في باقي الأيام.(١٩)

وأما العقل : فيمكن إجمال اعتبار العقل لقاعدة سد الذرائع بكلام ابن القيم - رحمه الله - حيث يقول: «لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها ، كانت طرقها وأسبابها تابعة لها ، معتبرة بها ، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراحتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غايتها ، وارتباطها بها ووسائل الطاعات والقربات في محبتها والإذن بها بحسب إفضائها إلى غاياتها ، فوسيلة المقصود تابعة للمقصود وكلاهما مقصود ، لكنه مقصودٌ قصد الغايات ، وهي مقصودةٌ قصد الوسائل ، فإذا حرم الرب تعالى شيئاً ولو طرق ووسائل تفضي إليه فإنه يحرمها ، ويمنع منها تحقيقاً لحريمه ، وتنبئاً له ، ومنعاً أن يقرب حماه ، ولو أباح الوسائل المفضية إليه لكان ذلك نقصاً في التحريم، وإغراء للنفوس به ، وحكمته تعالى تأبى ذلك ، بل سياسة ملوك الدنيا تأبى ذلك ، فإن أحدهم إذا منع جنده أو رعيته أو أهل بيته من شيء ثم أباح لهم الطرق والأسباب والذرائع الموصولة إليه فقد أفسد منعه ، ولحصل من رعيته وجنده ضد مقصوده.

وكذلك الأطباء إذا أرادوا حسم الداء منعوا صاحبه من الطرق والذرائع الموصولة إليه ، وإلا أفسد عليهم ما يرثون إصلاحه، فما الظن بهذه الشريعة الكاملة التي هي في أعلى درجات الحكمة والمصلحة والكمال؟ ومن تأمل مصادرها ومواردها علم أن الله تعالى ورسوله سدا الذرائع المفضية إلى المحرمات بأن حرمها ونهيا عنها»(٢٠)

أمثلة وتطبيقات على سد الذرائع :

قبل ذكر هذه الأمثلة لابد من التنبيه على أمر مهم جداً ، وهو أن تطبيق هذه القاعدة والعمل بها - وهو ما يُعرف بتحقيق المناطق الذي من معناه تحقيق وجود العلة في الواقع حتى يُبني عليها الحكم - لا يمكن أن يكون صحيحاً إلا بمعرفة واقع المسألة معرفة جيدة، وهو ما أطلق عليه ابن القيم - رحمه الله - الفقه في الواقع ، حتى نخرج بتطبيق صحيح لهذه القاعدة، لابد أن نميز درجة إفشاء الأمر الجائز إلى الممنوع، وتحديد درجة الإفشاء هذه تختلف فيه التقديرات اختلافاً كبيراً، كل بحسب ما وصل له، أضف إلى ذلك أن تقدير متعلق الوسيلة بأمر حاجي أو ضروري ، وكذا المتousel إليه ، أمر قابل لاختلاف وجهات النظر.

فمن أمثلة تطبيق هذه القاعدة في حياة السلف مما يشابه واقعنا:

١ - الحرص على الوحدة والاختلاف ، ونبذ أسباب الفرق والاختلاف.

و هذا من أعظم الأصول التي دعت إليها الشريعة وطبقها السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم- ، فظهرت آثار المحافظة على هذا الأصل في مواقف كثيرة ، منها مثلاً تركهم بعض المباحثات ، بل بعض السنن من أجل عدم التفرق والاختلاف ، وهذا من فقههم -رحمهم الله تعالى- ، فواجب على من سار على سبيلهم أن يقتدي بهم في ذلك ، ومن أمثلة ما نقل عنهم في هذا الباب ، قصة عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- في صلاته خلف أمير المؤمنين عثمان بن عفان -رضي الله عنه- بمنى إتماماً مع أن السنة القصر ، فلما قيل له في ذلك قال : «الخلاف شر».

ومن أجل ذلك نرى شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- يقرر أنه «يستحب للرجل أن يقصد إلى تأليف القلوب بترك مثل هذه المستحبات لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل مثل هذا».

ومن هذا ما يقع الآن بين الدعاة وطلبة العلم من رد هذا على ذاك. إن الرد على المخالف، مشروع في الجملة ، وهو سنة الصحابة والتابعين وتابعاتهم ومن سار على هذا من أكابر العلماء ، إلى يومنا هذا.

لكن هل هذا الأمر على إطلاقه؟ فهل يكون الرد على المخالف مشروعًا حتى وأن أفضى إلى فساد ، أو منكر أكبر؟

إن الرد على المخالف وسيلة ، القصد منها إظهار الحق لازهاق الباطل ، وإعلاء كلمة الدين ، لكن هذه الوسيلة قد تأتي بضد ما شرعت لأجله ، فيحصل بسبب هذا الرد تفرق الأمة ، واقتتالها فيما بينها ومن ثم ضعفها ، واستطالة الأعداء عليها ، ومن ثم ذهاب بيضة هذا الدين ، فهل يبقى الرد عندئذ على المخالف مطلوبًا مشروعًا؟

هذه مسألة تحتاج إلى بحث ونظر ، حسب القواعد والضوابط الشرعية ، وحسب الواقع ، ولا يتسع المجال لعرضها في هذا المقال ، وأدعو الأخوة الباحثين والداعية وطلبة العلم ، أن يبحثوا هذه المسألة بحثاً علمياً مؤصلاً.

ولا مانع هنا من أن نعرض بعض ما يجب مراعاته في دراسة هذه المسألة مما له صلة ببحثنا.

الرد على المخالف في المسائل الاجتهادية كطرائق الدعوة مثلاً ، أكثر ما يقال فيه أنه وسيلة مشروعة ، لا تصل إلى الوجوب ، إذا غالب على الظن أداؤها لحدوث تدابر وتباغض بين المسلمين وإنما تسد ؛ لأنها ذريعة إلى أمر ممنوع.

لكن ما حكم الرد على المخالف في غير المسائل الاجتهادية ، إذا أدى إلى حدوث ذلك الفساد؟ ينبغي أن ينظر إلى حجم المخالفة ، ثم مدى تأثر الناس بها ، وحجم المصلحة الناتجة من هذا الرد ، ثم حجم الفساد الذي أفضت إليه هذه الذريعة ، وكذلك درجة إفضاء هذا الرد لهذا الفساد.

الأمر بمحابية أهل الأهواء والفساد ، لقد سبق القول إن الشرع حث المسلم على عدم مخالطة المشركين ، لأن ذلك ذريعة لمحبتهم أو محبة دينهم ، وكذلك فإن مخالطة أهل الأهواء ذريعة إلى التأثر بهم ، أو دخول بعض شبههم إلى قلبه ، وأقل ذلك الخوض معهم في باطلهم ، ومثل مخالطتهم ، قراءة كتبهم والنظر فيها ، لذلك فقد جاءت نصوص كثيرة عن الصحابة والتابعين وأنة السلف في التحذير من ذلك ، وأقوالهم في ذلك كثيرة حتى كانت مجالاً رحباً للتصنيف ، وما ذلك إلا عملاً بسد الذرائع ، من أشهر ذلك قصة عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- مع صبيغ بن عسل ، حينما كان يسأل عن متشابه القرآن في أجناد المسلمين ، فأمر الناس باعتزاله ، حتى رجع عن ما هو فيه ، ثم أذن عمر للناس بمخالطته.

وقال الحسن البصري -رحمه الله تعالى-: «لا تجالس صاحب هوى فيقذف في قلبك ، ما تتبعه عليه فتهاك ، أو تخالفه فيمرض قلبك».

وعن أبي قلابة -رحمه الله تعالى-: «لا تجالسو أهل الأهواء ، ولا تجادلوهم ، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالاتهم ، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون» قال أليوب : وكان والله من الفقهاء ذوي الألباب.(٢١)

حدثوا الناس بما يعرفون كما قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- ، قال ابن حجر معلقاً: «وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة...» ثم قال : «وعن الحسن أنه أنكر تحذيت أنس للحجاج قصة العرنين لأنها اتخذها ذريعة إلى ما كان يعتمد من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي ، وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوى البدعة وظاهره في الأصل غير مراد ، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب والله أعلم».(٢٢)

ليس كل ما يعلم يقال وإن كان حقاً ، كما قال كثير بن مرة الحضرمي : «إن عليك في علمك حقاً كما أن في مالك حقاً ، لا تحدث بالعلم غير أهله فتجهل ، ولا تمنع العلم أهله فتالم ، ولا تحدث بالباطل عند الحكماء فيقتلوك»(٢٣) . وهذا واضح في حديث معاذ. أفلأ أبشر الناس؟ قال : «لا فيتكلوا» . وعن عبد الرحمن بن عوف أنه قال محدثاً عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- : «لو

شهدت أمير المؤمنين أتاها رجل فقال : إن فلاناً يقول لو مات أمير المؤمنين لباعينا فلاناً ، فقال عمر : لأقومن العشية ، فأحضر هؤلاء الرهط ، الذين يريدون يغضبني ، قلت : لا تفعل ، فإن الموسم ، يجمع رعاع الناس ، ويغلبون على مجلسك ، فأخاف أن لا ينزلوها على وجهها فيطيروا بها كل مطير ، وأمهل حتى تقدم المدينة ، دار الهجرة ، ودار السنة ، فتخلص بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم- من المهاجرين والأنصار ، ويحفظوا مقالتك وينزلوها على وجهها ، فقال : والله لأقومن في أول مقام أقومه بالمدينة».

وتطبيقات سد الذرائع أكثر من أن تحصى ، ولهذا قال ابن القيم -رحمه الله تعالى- «باب سد الذرائع أحد أرباع التكليف ، فإنه أمر ونهي والأمر نوعان ، أحدهما مقصود لنفسه ، والثاني وسيلة إلى المقصود ، والنهي نوعان أحدهما ما يكون المنهي عنه مفسدة في نفسه والثاني ما يكون وسيلة إلى المفسدة ، فصار سد الذرائع أحد أرباع الدين».

هذا ما تيسر والله تعالى أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وأله وصحبه وسلم.

الهوامش :

(١) انظر : الفتاوى الكبرى (المصرية) لابن تيمية : وأعلام الموقعين لابن القيم ١٠٣ / ٣ ، وسد الذرائع للبرهانى ٣٢٩.

(٢) البقرة : آية ١٦٨

(٣) آل عمران : آية ٢٨

(٤) الممتحنة : آية ١

(٥) النساء : آية ٨٩

(٦) رواه أبو داود ، كتاب الجهاد ١٠٥ / ٣ رقم ٢٦٤٥ ، والترمذى في السير ٣٢٩ / ٥ رقم ١٦٠٤ ، وحسنـه الألبـانـي كما في صحيح الجامـع رقم ١٤٧٤.

(٧) رواه أبو داود ، كتاب الجهاد ٢٢٤ / ٣ رقم ٢٧٨٧ ، وحسنـه الألبـانـي كما في صحيح الجامـع رقم ٦٠٦٢.

(٨) رواه أبو داود ، كتاب اللباس ٣١٤ / ٤ برقم ٤٠٣١ ، والإمام أحمد في المسند ١٤٢ / ٧ رقم ٤١١٤ (تحقيقـ أحمدـ شـاـكـرـ) وـقـالـ الشـيـخـ أـحـمـدـ شـاـكـرـ : إـسـنـادـهـ صـحـيـحـ ، وـقـالـ شـيـخـ الإـسـلـامـ : إـسـنـادـ جـيـدـ كـمـاـ فـيـ اـقـضـاءـ الـصـرـاطـ الـمـسـقـيـمـ . ٢٣٦ / ١

(٩) الأنعام : آية ١٠٨

(١٠) الفتاوى الكبرى ١٧٤ / ٦

(١١) الماندة : آية ١٠١

(١٢) انظر : تفسير القرطبي ٣٣٠ / ٦ وما بعدها

(١٣) انظر مناسبـةـ الـحـدـيـثـ فـيـ الـاسـتـيـعـابـ لـابـنـ عـبـدـ الـبـرـ ٩٤١ / ٣

(١٤) رواه مسلم وغيره

(١٥) رواه مسلم

(١٦) رواهـ أـحـمـدـ وـالـنـسـائـيـ وـالـطـبـرـانـيـ فـيـ الـمـعـجمـ الـكـبـيرـ

(١٧) أعلامـ المـوـقـعـينـ ١٤٧ / ٣

(١٨) انظر : مجموعـ الفتـاوـىـ ٤٠٥ / ٢٢ - ٤٠٧

(١٩) الاعتصـامـ ١٣٠ـ ، وـانـظـرـ الـلـالـكـانـيـ فـيـ الـسـنـةـ رـقـمـ ٢٤٤ـ ، وـعـبـدـ اللهـ بـنـ أـحـمـدـ فـيـ شـرـحـ السـنـةـ . ١٨

(٢٠) فتحـ الـبـارـيـ ٢٧٢ / ١

من فقه الدعوة فن معالجة الأخطاء

عبد الله آل سيف

ترصد الشركات الغربية الكبرى أموالاً ضخمة لدراسة علم العلاقات الإنسانية ، الذي يشمل : فن معالجة الأخطاء، وفن التعامل مع الآخرين، وفن كسب القلوب، وفن الإقناع، وفن قيادة الآخرين ، وتنشئ لهذا الغرض معاهد مستقلة ، وتدعم البحوث والدراسات المتعلقة به ؛ لأنه يخدم مصالحها وأهدافها في الاتصال بالجماهير ، ولا تكاد تخلو شركة من الشركات من قسم العلاقات العامة الذي يوظف فيه أناس متخصصون في هذه العلوم ، أو ما يحلو [لديل كارينجي] أن يسميه : "كاسحي الألغام" ، الذين يتولون أمور زبائن الشركة المشاغبين والمتعبين ، ويحلون مشاكلهم ، ويكسبونهم إلى صفهم ، ولا شك أن الدعاة أولى الناس بدراسة هذه العلوم، لأن طبيعة عملهم هي الاتصال بالآخرين، ومعالجة أخطائهم. وسوف أحاول هنا طرق أبواب ذلك العلم لإبراز بعض القواعد المهمة في ذلك ، ومحاولة شرحها ، وتأصيلها بالدليل الشرعي ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

القاعدة الأولى:

اللوم للمخطئ لا يأتي بخير غالباً

تذكَّر أن اللوم لا يأتي بنتائج إيجابية في الغالب ، فحاول أن تتجنبه ، وكما يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: إنه خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم- عشر سنوات ما لامه على شيء قط ، وإذا حدثه في ذلك بعض أهله قال: «دعوه فلو كان شيء مضى لكان» ، وفي رواية للطبراني قال أنس بن مالك: «خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم- عشر سنين فما وريت شيئاً قط وافقه ، ولا شيئاً خالفه» (١).

واللوم مثل الطيور مهيبة الجناح، التي ما إن تطير حتى تعود إلى أوكرارها سريعاً، أو مثل السهم القاتل الذي ما إن ينطلق حتى ترده الريح على صاحبه فيؤذيه، ذلك أن اللوم يحطم كبرياء النفس البشرية ويفتك أنه ليس أحد في الدنيا يعيش اللوم ويهاه.

وكم خسر العالم كثيراً من العباقرة وتحطمت نسياناتهم؛ بسبب اللوم المباشر الموجه إليهم من المربيين (٢) قال معاذ بن جبل : «إذا كان لك أخ في الله فلا تماره» (٣).

القاعدة الثانية :

أبعد الحاجز الضبابي عن عين المخطئ :

المخطئ أحياناً لا يشعر أنه مخطئ ، وإذا كان بهذه الحالة وتلك الصفة فمن الصعب أن توجه له لوماً مباشرةً وعتاباً قاسياً ، وهو يرى أنه مصيبة. إذن لابد أن يشعر أنه مخطئ أو لاً حتى يبحث هو عن الصواب؛ لذا لابد أن نزيل الغشاوة عن عينه ليبصر الخطأ.

جاء شاب يستأذن النبي - صلى الله عليه وسلم - في الزنا بكل جرأة وصرامة فهم الصحابة أن يوقعوا به؛ فنهاهم وأدناه وقال له : «أترضاه لأمك؟!» قال : لا ، قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم- «فإن الناس لا يرضونه لأمهاتهم» قال: «أترضاه لأختك؟!» قال: لا ، قال : «فإن الناس لا يرضونه لأخواتهم»^(٤) . فكان الزنى أبغض شيء إلى ذلك الشاب فيما بعد . وكذلك في قصة معاوية بن الحكم حيث قال : «بينما أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم- إذ عطس رجل من القوم فقلت : "يرحمك الله" ، فرمانى القوم بأبصارهم فقلت: "ما شأنكم تتظرون إلي" فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتمهم يصمتونني سكت ، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم- فبأبأي هو وأمي ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه- فوالله ما نهني ولا ضربني ولا شتمني قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»^(٥) .

القاعدة الثالثة :**استخدم العبارات اللطيفة في إصلاح الخطأ:**

إذا كنا ندرك أن من البيان سحراً فلماذا لا نستخدم هذا السحر الحلال في معالجة الأخطاء ! فمثلاً حينما نقول للمخطئ لو فعلت كذا "ما رأيك لو نفعل كذا" أنا اقترح أن تفعل كذا"عندى وجهة نظر أخرى ما رأيك لو تفعلها؟" وغيرها... فلا شك أنها أفضل مما لو قلت له : "يا قليل التهذيب والأدب ، وعديم المروءة والرجلة" .. "ألا تفقه" .. "ألا تسمع" .. "ألا تعقل" .. "أمجنون أنت" ... "كم مرة قلت لك" .. فلا شك أن الفرق شاسع بين الأسلوبين ، وعندما نسأل أنفسنا أي الأسلوبين نحب أن يقال لنا ، فلا شك أننا نختار الأول فلماذا لا نستخدمه نحن أيضاً مع الآخرين؟! ولهذا كان النبي الكريم صلى الله عليه وسلم- يستخدم مثل هذا ، ففي حديث عائشة مرفوعاً «لو أنكم تطهرتم ليومكم»^(٦) . وروى مسلم أيضاً مرفوعاً : «لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك»^(٧) . والسر في تأثير هذه العبارات الجميلة ، أنها تشعر بتقدير واحترام وجهة نظر الآخرين ، ومن ثم يشعرون بإنصافك فيعترفون بالخطأ ويصلحونه^(٨) .

القاعدة الرابعة :**ترك الجدال أكثر إقناعاً من الجدال :**

تجنب الجدال في معالجة الأخطاء ، فهو أكثر وأعمق أثراً من الجدال نفسه وتدذر أنك عندما تنتصر في الجدال مع خصمك المخطئ فإنك تجبره في الغالب أو على الأقل يحز ذلك في نفسه ، ويجد عليك ويحسدك ، أو يقد عليك فحاول أن تتجنب الجدال ، ولذلك فإن النصوص الشرعية لم تذكر الجدال إلا في موضع النفي غالباً ، والمحمود منه ما كان محاورة هادئة مع طالب للحق بالي هي أحسن . ذكر عن مالك بن أنس أنه قيل له : «يا أبا عبد الله الرجل يكون عالماً بالسنة أيجادل عنها؟» قال : لا ولكن يخبر بالسنة فإن قبلت وإن سكت^(٩) . وفعلاً فإن طالب الحق إذا سمع السنة قبلها ، وإن كان صاحب عناد لم يقنعه أقدر الناس على الجدل ، لكن إن سلم بها وذكرت له السنة بلا جدال فقد يتأملها ويرجع.

وبالجدال قد تخسر المجال ، والداعية ليس في حاجة إلى أن يخسر الناس ولذا يقول عبد الله بن حسن -رحمه الله- : «المراء يفسد الصدقة القديمة ، ويحل العقدة الوثيقة ، وأقل ما فيه أن تكون المغالبة والمغالبة، أمنن أسباب القطيعة»^(١٠) . حتى ولو كان المجادل محقاً، فينبغي له ترك الجدال ، وفي الحديث الذي رواه أبو داود مرفوعاً «أنا زعيم ببيت في ربع الجنة لمن ترك المرأة وإن كان محقاً»^(١١)

وتدذر أن المخطئ قد يربط الخطأ بكرامته ، فيدافع عنه كمن يدافع عن كرامته ، وإذا تركنا للمخطئ مخرجاً سهلاً عليه الرجوع وجعلنا له خيارات للعودة فلا نغلق عليه الأبواب^(١٢) .

القاعدة الخامسة:

ضع نفسك موضع المخطئ ثم ابحث عن الحل :

عندما نعرف كيف يفكر الآخرون ، ومن أي قاعدة ينطلقون ، فنحن بذلك قد عثينا على نصف الحل. حاول أن تضع نفسك موضع المخطئ ، وفكّر من وجهة نظره هو ، وفكّر في الخيارات الممكنة التي يمكن أن يتقبلها ، فاختار له ما يناسبه(١٣).

القاعدة السادسة :

ما كان الرفق في شيء إلا زانه:

عن عائشة -رضي الله عنها- مرفوعاً : «إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على ما سواه» (١٤). وفي رواية أخرى له : «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه».

وتذكّر قصة الأعرابي الذي بال في المسجد ، وكيف عالجها النبي صلى الله عليه وسلم- بالرفق كما في الحديث المتفق عليه عن أنس(١٥).

القاعدة السابعة :

دع الآخرين يتوصّلون لفلك :

عندما يخطئ إنسان ، فقد يكون من المناسب في تصحيح الخطأ أن تجعله يكتشف الخطأ بنفسه ، ثم تجعله يكتشف الحل بنفسه فإن هذا أدعى للقبول.

ومن الشواهد على هذا ما ذكره الشيخ محمد بن إبراهيم من قصة الشيخ عبد الرحمن البكري ، حينما ذهب إلى الهند ، وسمع أحد العلماء الهندو يلعن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نهاية كل درس ، فقام الشيخ البكري ونزع غلاف كتاب التوحيد ، ودعا الشيخ لمنزله ثم استأذنه ليأتي بالطعام ، وكان الكتاب قريباً من الشيخ الهندي فأخذ يتصفحه وأعجبه قال : فلما رجعت وجدته يهز رأسه عجباً فقال : لمن هذا الكتاب؟ هذه الترجم عنوان الفصول شبه ترجم البخاري ، هذا والله نفس البخاري ، فقلت : ألا نذهب للشيخ الغزواني لسؤاله وكان صاحب مكتبة- فأخبرهم أنه للشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ فصاح العالم الهندي بصوت عال : الكافر !! فسكتنا وسكت قليلاً ثم هدا غضبه ، واسترجع ثم قال : إن كان هذا الكتاب له فقد ظلمناه ثم صار كل يوم يدعوه له ويدعو معه تلاميذه ، وتفرق تلاميذه في البلاد وهم على عادة شيخهم يدعون له في دروسهم(١٦).

والإنسان عندما يكتشف الخطأ ثم يكتشف الحل والصواب فلا شك أنه يكون أكثر حماساً لأنه يحس أن الفكرة فكرته(١٧).

القاعدة الثامنة :

عندما تنتقد أذكّر جوانب الصواب :

حتى يتقبل الآخرون نقدك المنهذب ، وتصحّح خطأ ، أشعرهم بالإنصاف بأن تذكر خلال نقدك جوانب الصواب عندهم ، ففي البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم- قال : «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلّي من الليل» ، قالت : حفصة فكان بعد لا ينام إلا قليلاً(١٨)

وقال -صلى الله عليه وسلم : «تكلّمك أملك يا زيد إن كنت لا أعدك من فقهاء المدينة»(١٩). فعندما يعمل إنسان عملاً فيتحقق نسبة نجاح ٣٠% فإنني أثني عليه بهذا الصواب ، ثم أطلب منه تصحيح الخطأ ، ومجاوزة هذه النسبة(٢٠).

القاعدة التاسعة :

لا تفتّش عن الأخطاء الخفية :

حاول أن تصحح الأخطاء الظاهرة ولا تفتش عن الأخطاء الخفية لتصلحها لأنك بذلك تفسد القلوب ، وقد نهى الشارع الحكيم عن تتبع العورات فقد روى الإمام أحمد عن ثوبان مرفوعاً « لا تؤذوا عباد الله ، ولا تعيروه ، ولا تطلبوا عوراتهم ، فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته» (٢١).

و عن معاوية مرفوعاً « إنك إن تتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدتهم» (٢٢).

القاعدة العاشرة :

استفسر عن الخطأ مع إحسان الظن والتثبت :

عندما يبلغك خطأ عن إنسان فتثبت منه ، واستفسر عنه مع إحسان الظن به ، فأنت بهذا تشعره بالاحترام والتقدير كما يشعر في الوقت نفسه بالخجل وأن هذا الخطأ لا يليق بهم مثلًاـ أن تقول له : زعموا أنك فعلت كذا ، ولا أظنه يصدر من مثالك ، كما قال عمر - رضي الله عنه - : « يا أبا إسحاق زعموا أنك لا تمسي تصلي ».

القاعدة الحادية عشرة :

امدح على قليل الصواب يكثر من الممدوح الصواب :

وقد أخذ بهذه النظرية محترفو السيرك ، فنجحوا في ترويض بعض الحيوانات الضخمة أو الشرسية ودربوها على القيام بأعمال تدعوا للدهشة والاستغراب وطريقتهم في ذلك أنهم يطلبون من هذا الحيوان عملاً معيناً ، فإذا حق منه نسبة نجاح ٥٪٥ أعطوه قطعة لحم ، وربتوا على جسمه دلالة على رضاهم عنه ، ثم يكررون العملية عدة مرات مع قطع لحم أخرى أيضاً ، وتزداد نسبة النجاح شيئاً فشيئاً حتى يتوصلاً للمقصود فإذا نجحت هذه النظرية مع الحيوانات؛ أفلأ تنجح مع الإنسان وهو من أكثر المخلوقات ذكاء واستجابة وقدرة على تفادي الأخطاء؟!

مثلًاـ : عندما تربى ابنك ليكون كاتبًاً مجيداً ، فدربه على الكتابة ، وأثن على مقاله الأول ، وانظر جوانب الصواب فيه ، ودعمها بالثناء فإن قليل الصواب إذا أثني عليه يكثر ويستمر (٢٣).

القاعدة الثانية عشرة :

تذكر أن الكلمة القاسية في العتاب لها كلمة طيبة مرادفة تؤدي المعنى نفسه :

عند الصينيين مثل يقول: «نقطة من العسل تصيد من الذباب ما لا يصيد برميل من العلقم»، وهذا واقع والكلمة الطيبة تفعل وتوثر ما لا تفعله أو تؤثر به الكلمة القاسية التي هي في حقيقتها برميل أو براميل من العلقم المر القاسي الذي لا يطيقه أكثر الناس.

القاعدة الثالثة عشرة :

اجعل الخطأ هيناً ويسيراً وابن الثقة في النفس لإصلاحه (٢٤).

القاعدة الرابعة عشرة :

تذكر أن الناس يتعاملون بعواطفهم أكثر من عقولهم :

وهذه غريزة بشرية فالإنسان عbara عن جسد ، وروح وهو مليء بالعواطف الجياشة ، وله كرامة وكبراء ، فالإنسان لا يحب أن تهان كرامته ، أو يجرح شعوره ، حتى ولو كان أثقل الناس ، ولذلك لما بلغ أباً أسيد الساعدي فتوى ابن عباس في الصرف أغاظله أبو أسيد فقال ابن عباس : ما كنت أظن أن أحداً يعرف قرابتني من رسول الله صلى الله عليه وسلمـ يقول لي مثل هذا يا أبا أسيد (٢٥).

الهوامش :

(١) الشمائل المحمدية للترمذى [٢٧٣]

(٢) ديل كارينجي [٢١]

- (٣) بهجة المجالس لابن عبد البر [٤٣٢/٢]
- (٤) رواه أحمد بإسناد جيد ، المسند [٢٥٦/٥]
- (٥) رواه مسلم [٣٨١/١]
- (٦) رواه مسلم [٥٨١/٢]
- (٧) صحيح مسلم [٦٩٤/٢]
- (٨) دليل كارينجي [٢٢٠]
- (٩) جامع بيان العلم وفضله [٤١٢]
- (١٠) جامع بيان العلم وفضله [٤٢١]
- (١١) مسند أبي داود [٤٢٥٣/٤]
- (١٢) كيف تكسب الأصدقاء. دليل كارينجي
- (١٣) كيف تكسب الأصدقاء. دليل كارينجي
- (١٤) رواه مسلم [٤٢٠٠٤/٤]
- (١٥) بلوغ المرام ، صحيح مسلم [٢٣٦/١]
- (١٦) فتاوى ابن إبراهيم [٧٥/١]
- (١٧) كيف تكسب الأصدقاء [١٧٣]
- (١٨) رواه البخاري [٦/٣]
- (١٩) رواه الدرامي [المقدمة ٢٩]
- (٢٠) كيف تكسب الأصدقاء
- (٢١) مسند أحمد [٢٧٩/٥] ، الترمذى [البر/٨٣]
- (٢٢) مسند أبي داود [٤/٤] رياض الصالحين (٤٤٢) قال النووي. إسناده صحيح
- (٢٣) كيف تكسب الأصدقاء [٢٢٨]
- (٢٤) كيف تكسب الأصدقاء [٢٣]
- (٢٥) التمهيد لابن عبد البر [٢٤٥/٢]

خواطر في الدعوة من .. للمشاريع العلمية والدعوية ؟

محمد العبدة

بعد العهد بالمؤسسات ، التي كانت من أقوى الأسباب في استمرار التعليم الإسلامي والمدارس القائمة عليه، والتي استطاعت أن تمد المجتمع الإسلامي بطلبة العلم والعلماء، حتى في عهود الانحدار السياسي ، نسي الناس الأوقاف الإسلامية التي كانت مؤسسة كبيرة ساعدت في الحفاظ على البعد الحضاري - الاجتماعي للإسلام ، وكان بإمكانها أن تستمر في أداء هذه المهمة لو لا أن الدولة الفُطُرية الحديثة - وغالباً ما كانت عسكرية - ساءها أن يكون للمسلمين مثل هذا العمل الاجتماعي فراحت تعيث فساداً بأوقاف المسلمين ، ووجدت لها فرصة لنهب الأراضي والأموال وتلاشت الأوقاف شيئاً فشيئاً حتى لم يبق لها أثر. كانت المدارس والجامعات العريقة في العالم الإسلامي تستفيد من هذه الأوقاف فيتواءد الطلبة إليها من جميع الأقطار ، وعندما دعم المسلمون هذه المؤسسات الكبيرة ، إنما كانوا يعوضون بالتقدير الواقع من جانب الدول التي كانت غارقة في

المنازعات والتهاوش على الدنيا ، ومع ذلك فإن هذه الدول لم تتجروا على نهب الأوقاف كما تجرأت الدول الحديثة. وكانت هذه الأوقاف تمثل نوعاً من الحماية للمجتمع الإسلامي ، ولذلك مرت على المسلمين قرون كان العالم فيها متقدماً ، وقابل ذلك تدهور سياسي عجيب ، واستمر تدريس العلوم الشرعية من غير أن يخضع للأهواء والأمزجة. لم يقتصر نفع هذه الأوقاف على التعليم ، بل تعداه إلى أمور كثيرة تتصل بحياة الناس ومعاشهم ، ومن يقرأ عن مصارف هذه المؤسسات سيأخذ العجب من المدى الذي وصل إليه المسلمون في تقديم الخدمات الإنسانية.

إننا اليوم أشد حاجة مما مضى إلى مثل هذه الأعمال ذات النفع الدائم بإذن الله وذلك حماية للدعوة وتشجيعاً للعلم والبحث العلمي ، ويجب أن نتذكر أن دعم التبشير النصراني والمؤسسات العلمية في أوروبا إنما كان وراءه جمعيات كثيرة جداً ، وكان من أثر هذه الجمعيات ظهور جماعاتهم المشهورة. إن هذا الحديث عن وقف المال لمشاريع دعوية وعلمية ، وإن كان موجهاً إلى كل المسلمين الغيورين إلا أنه موجه بشكل أخص إلى الدعاة الذين يتحملون عبء إيجاد مثل هذه الأعمال ، وحتى لا تبقى الدعوة أسرة لأشخاص يجودون أو يخلون.

الملف الأدبي نجمة الاعتصام

تركي المالكي

(١)

رقص الحبل بالراقصين..
بعد (دبكتهم) نصف قرنٍ عليه
فانهمز ، يا سلام !
» عارض ممطر ! «
وانתרز يا شرر
يا سعادتهم بالمطر !

(٢)

أصبح (البحر) كالخمر ! عذب
بيغنا (الغيث) سام !
» دع (سفينة نوح) وكن
(وأقيعاً) تجيد الكلام !

وادرع معنا نجمة لا تضام ..!
نجمة ودهاليزها ستة ...
نجمة لاعتصام ! فموج التطرف هب !»

(٣)

نصف قرن ! وهم ينهشون

مضغوك وكنت تجارتهم ..
ثم ها هم يبيعون حتى العظام!

(٤)

» مرحباً يا ابن جدي (سام)!
خذ فديتك لا حجب القدس عن رضاك
أنا أنت ولكنني (الغمد) أنت الحسام!
أنا أنت ولكنني (الذيل)..
فاحقق سموك في ..
سوف أدفع عنك (لحى) الانقام!
أنا أنت فصُّنْ نزف قومي حبراً ، وخط به...
هيك لا للسلام!
ثم خذ من يدي بصمة في الخاتم
إنني (واقع!) وداعاً زمان القتال/الكلام!
ها أنا أندوّن صفع النعال!
من يديك (المعمّدين!) حلال!
وحلال حلال حلال ..
فأنا عاكل ونكي ..
وأفهم في (الاعتدال)
وأنا أنت يا أسدى..
مُرْ فبيں یدیک الغزال!
وانغمد يا حسام!

(٥)

جبل من غبار!..
مسجد للضرار!..
مِرْقُ من فمي ونثار!
عطش يملا الأرض ملحاً وطين..
وعواصف رمل و (ريح) سلام!
يا (رياح) فهّزي جذوع غivot اليقين
في دمائي رعد وبرق وتوّق!
فاسقها أيها المُرْن غيثاً..
ترى دربها بين هذا الحطام!
اسقها (قبساً) فرّعه صاعد..
والجذور توهج في العمق ثابتة لا ترّام!

(٦)

ها تضلّعت إني أرى - رغم هذا الظلم!
في عروقي دم الفاتحين..
يَنْدَقُ بالطهر، كالورد ، كالجمر..

يسقي جذوع الكلم!
هو ما بينها يضطرم!
وهي تمنحه نبضه..
وتهمش فيه العدم!
ثم تزرع من لونه الأرجواني شمس النهار..
وأفق الحياة وسوق القمم!
كل قطرة دم..
نفشت توقها فوقها:
(فيarp لا تجعل حياتي مهينة
ولا ميتي بين النساء النواه
ولكن شهيداً تدرج الطير حوله
وتأكل غربان الفلا من جوانحي)
ويا رب لا تجعل من القيد معصماً
أجر به خزي ! وتطوى مطامحي
ولكن لظى يغلي ليدفن تحته
تواريخ من مدوا يدا نحو ذابحي !

للموت مليون طريقة

عبير عبد الله الطنطاوي

البيت مليء بالصراخ والنحيب.. الكلمات اليائسة هي الحوار الرئيسي بين الجارات في الداخل، ورائحة الموت التي تناقلتها النسوة في الحي إنها تدور حول ابن عم أو خال أو صديق أو قريب مات تحت القصف المعادي، أو من الخوف، أو.. أو.. وأنا مللت هذه الأحاديث، إنها تعاد مختلطة بتتهات حارة، منتهية بنحيب مقيت، وعبارات مذعورة خائفة من الموت غداً، إن للموت مليون طريقة في هذا الجو البائس، المشحون بالقتل والتدمر.

بلدي يا زهرة في القلب عبيرها، ويا بسمة على الشفاه مرسمها، ويا أملاً في الأحلام مرآته، ريا قبّلة على الوجنة نطبعها. لم أكن أعرف أني أحبك.. نعم أحبك. وفي الأزمات نعرف معنى الحنين إلى الأحباب ، ونكتشف مدى تعلقنا بهم.. نعم ففي الأزمات تتكشف للإنسان مشاعر خفية وغامضة ، وفيها يعرف ما استتر ، أو ما حاول ستره. إنني غريبة في وطني قدمت إلى ترابه وأنا طفلا ، وووجدت في أحضانه أحلى وأرق الأيام والذكريات.

- شجون ، أنت هنا!

انتبهت على هذا الصوت الرخيم ، التفت إلى الخلف راسمة ابتسامة انتزعتها انتزاعاً ، وقلت:

- منتهى.. أهلاً.. هل كنت تبحثين عنِي ؟

- بالطبع وهل لي صدر حنون كصدرك ؟

ضممتها إلى صدري الحنون - كما قالت - ضمة أحسست فيها بحرارة صادقة ومودة قديمة. قالت بعد أن أفلتت من بين ذراعي :

- فارس يا شجون فارس...

- فارس حبيبي الصغير.. ماذا به؟

- الحليب..!!
- الحليب؟!

قلت مستغربة ، وأنا أنظر إلى صدرها الذي كان يعلو ويهبط ، ثم أردفت :

- وحليب الأم أين هو؟!

ذهب منذ خبر استشهاد (وليد) ابن خالي.

- والأسواق لا يوجد فيها حليب؟

- الأسواق لا يوجد فيها طعام ! فكيف سيكون فيها حليب لابن عشرين يوماً؟!

- والعمل؟

- "دبريني" يا شجون.. !!

وبدأت الدموع تتتساقط من مقلتيها كأنها لآلئ تنحدر من صدفيتين سوداويتين.. ربت على كتفها وقلت :

- الله معنا ، ولن يخذلنا إن شاء الله.

قللتني ودعت لي بالنجاح والستر ، وأثنت علىّ ، ثم غادرت المكان إلى بيتها وطفلها ، وجلست أنا. «تعتمد علىّ !! من أين سأحصل على الحليب؟»

نظرت إلى معصمي ، وجدت فيه أساور ذهبية رفيعة ، لازمت يدي منذ صغرى ، كنت أكبر ويكبرها لي أهلي ، حتى لا تصير كالقيد يحز معصمي. أنا أحب هذه القطعة الذهبية ، لكنني أحب منتهي وفارس أكثر من الأساور.

دخلت إلى البيت ، أخذت أسأل الموجودات عن حليب لصغير لم يتجاوز العشرين يوماً.. جمِيعُهُنَّ أجبن بالنفي ، متأسفات لعدم وجود. لبست ملابس الخروج الشتوية ، وقاومت عصف الرياح المختلط بهدير الطائرات وقصفها.. خرجت إلى جارنا البقال ، سأله عيوني قبل لسانه ، ولكنه أبدى أسفه وهو حزين. خرجت إلى الشوارع حزينة مرتعشة التمس طعاماً لذلك التغير البسام الصغير والجميع يتأسفون !. عدت إلى البيت أخيراً متوجهة الوجه ، قابلتني أمي باللوم. كيف أخرج في هذا الجو والطائرات تحوم حولنا و.. و!! وما كادت تكمل تأنيبها حتى أسكنت صوتها غارة جديدة. إن تشبتنا بالحياة يولد كلما شئْتْ غارة جديدة !.

وتكرر خروجي للبحث عن الحليب لفارس يوماً بعد يوم ، وفي اليوم السابع أخبرني جارنا البقال أنه يستطيع تأمين بعض الحليب بعد يومين.. أشرق الأمل من جديد بعد أن كادت شمسه تذهب وتتيب ، وولدت البسمة على شفتي بعد أن قتلها اليأس.. عدت إلى البيت ، وسألت عن منتهي وابنها ، فأخبرتني أمي كالعادة- بما لا يسر : الطفل جائع ، والعائلة فقيرة ولا تعرف من أين تؤمن معيشة الصغير.. منتهي تبكي..

يا إلهي اللآلئ تساقط.. وزوج منتهي لم يعد من الجبهة. وهي تسأل عن باستمرار.. بأي وجه أقبلها وهي التي اعتمدت بعد الله على !!

بعد يومين عدت إلى البقال ، فوجدت دكانه مغلقاً ، نظرت إلى الساعة في معصمي إنها لا تزال السابعة صباحاً و هو بالتأكيد لم يعد عندما ذهب لجلب الحليب.. بقى في مكانه قرب الحانوت لا أتحرك رغم البرد الشديد الذي كان يحثني على الحركة لأمنع دمي من التجمد ، لكنني كنت أغذى دمي بحرارة الأحلام ، حيث أتصور لآلئ منتهي قد جفت ، والبسمة تعلو وجهها الشاحب ، وطفلها يرضع الحليب الذي لم آل جهداً في إحضاره!.

في الساعة الواحدة ظهراً عاد البقال ، وعلى وجهه ابتسامة الأمل والفرح لأنني - كما قال - كنت حقاً أمناً لمنتهي رغم إنني أصغر منها ببضعة أشهر.. وقدم لي الحليب ، وطلب مني ثمناً لم أكن أتوقعه ، وحين استفسرت أخذ يشرح ويعيد ويزيد ، فلم أجد بدأً من إسكاته، وجدت النقود ضئيلة جداً أمام

المبلغ الذي طلبه ، فقد جلب لي حليبا دسماً ، وبكميات كبيرة. فلم أتردد ساعتها في نزع الأسوار ، وتقديمها لبائع الحليب قائلة:

- هذه تنفع؟

ضحك قليلاً ضحكة هزت جسمه ، ثم قال :

- تنفع يا بنتي.. "زين" .. لكن هذه تساوي الآن ضعف المبلغ.

- وماذا نفعل؟.. قل بسرعة.

- سأعطيك الباقي.

- أعطاني النقود حتى يخلص ضميره - كما قال -.. لم ألتقط إليه ، المهم أنني حصلت على بغيتي.. عدت إلى البيت ، ثم ذهبت إلى بيت منتهى ، فلم أجد فيه أحداً ، فاتجهت نحو بيتنا.

الفرح يصنع لي أجححة بيضاءً تحملني إلى الأرض التي فيها فارس ومنتهى صديقتي ورفيقه دربي. دخلت حديقة المنزل وإذا بي أفاجأاً بعينين كصدفتين ودموع كأنها لآلئ ، تندحر على خدين أسيلين.

- منتهى !!

صرخت بصوت عال ، والفرح باد على كل بقعة من جسدي.

- منتهى خذني ، هذا حليب لفارس.

نظرت إليها.. ما هذا؟ حزن صامت وعينان فقدتا لمعانهما ، وصارتا باردين كأنهما زجاج.

منتهى.. الحليب !

قالت بكيان: لمن؟!

كاد قلبي يقف ، فقد توجست أمراً ، غير أنني تمالكت نفسي وقلت متعجبة:

- لمن؟! طبعاً ل ..

فصرخت : اسكنني يا شجون ، اسكنني أرجوك..

صحت : ويلك أين فارس؟

وكان الجواب بكاءً يقطع نياط القلوب.. ندّت من قلبي صرخة موجعة باكية:

- لا.. الأطفال لا يمكن أن يموتوا بهذه السرعة من الجوع.. الجوع.. كم أكرهها هذه الكلمة... الجوع..

غرقت لحظة في بحار الحزن والألم ، وسادت لحظات صمت ، قطعتها أصوات القابل والصواريخ وصفارات الإنذار وصراخ الانفجارات.. نظرت إلى منتهى وجدتها تدخل البيت.. تركتني وحيدة كما تركها فارس وحيدة.. نظرت إلى أعلى.. إلى السماء وهتفت :

- يا رب... يا أمان الخائفين!

نصوص شعرية

المتحدة

علي بن موسى

هذى سرابيفو تموت ولا نصير.

الطل غادر صبحة

وانحاز للبارود

وانكفا الشروق.

قلبي الطريدة
والج gou تتابع الصياد
والصياد يقتنص الجموع!
ها أنت يا "عثمان" ..
تُلقى في الطريق ..
مقطع الجسد الصغير
ونحن نغط في لغط القصور!
أنت تسبح في بحار الدم
أنت المستجير ولا نصير!
ها أنت يا ليلي
فريسة ألف وحش
ألف خنزير
ولا من يستجيب ..
وكُلنا غرقى ومركبنا هناك
لدى النtar !

هذا سر ابيفو
نواح لا يكُفُ!
وألف ألف قذيفة زرعت هنا ولا مغيث
سوى مزاعمهم عن الطير "النعامنة" !

النار تأتي تحتوينا
ونظنها في البعد نائية
لكنها في القلب تحرقنا!
تُحاصر أمننا .. تقتات أحلام الطفولة ..
وتغلب أشجار الإياب!
يا مجلس الأمن المصمم بالصلب وللصلب
يا مجلس الشيطان تقتلنا وتمعننا الرصاصه؟!
وتقض مضجعنا بأوهام الوكالات التي عبرت جسور عقولنا ..
وتربعت في سوحنا
يا مجلس الأعداء
تقتلنا وتقتلنا ، وتمنح خصمنا ليلاً من البارود يحرقنا وقوفا!

هذا سر ابيفو تُذك سلامها نار الصليب
ونحن نمضغ عجزنا!
عذرًا .. فإنك ما انتفعتِ بأن أبوخ
وما انتفعتِ بأن أطير نحو وجهك ..

ألف قافية تتوخ !

عذرًا سرائييفو وبافي ، السرب
إنك منذ جاؤوا صامدة
ونحن هناك نأكل خبزنا المعجون باللذات !
ونقول : ما فوق التراب تراب .

يا أمة الإسلام
هل مازال حاوي القوم يذهنا ..
فيخرج من جراب الوهم آلاف الطيور !
ونحن نعجب : "كيف يأتي بالطيور ولا طيور ؟!
وكيف يزرع فوق أعيننا التلذذ والحبور ؟!
ونحن نضحك متلما الأطفال
والدنيا تدور !

عذرًا سرائييفو
سئمنا ليأنا
لكننا - عذرًا - سئمنا أن نمل من السأم !

ملف السلام العربي / الإسرائيلي حواشى على متن الإسلام

د/ خالد الجابر

ويسأل السائل ، ويلح في السؤال عن الموقف الصحيح الذي يجب أن يتتخذه المسلمون قاطبة ،
حول ما يُسمى بمباحثات السلام مع العدو اليهودي . وخاصة حول الاتفاقية الأخيرة "غزة وأريحا
أولاً" .

والجواب واضح بين - بحمد الله تعالى- لمن آتاه الله العلم ، والبصيرة ، وستراه هنا في جملة من
المسلمات والحقائق التالية .

المسلمة الأولى :

إن من لوازم التوحيد ، ومقتضيات الشهادتين : الانقياد المطلق والاستسلام التام لله رب العالمين ،
والشريعة التي أنزلها على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم - ((وما كان لمؤمن
ولا مُؤمنةٌ إِذَا قُضِيَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ))
[الأحزاب: ٣٦] فلا يعارض أمر الله وأمر رسوله بعقل ، أو قياس ، أو هوى ، أو عواطف ، أو غير
ذلك ، بل يحذر كل الحذر من مخالفة أمره ((فَلَيَحْذِرَ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ
يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))

ألا وإن من مستلزمات هذا الكلام أنه إذا عرضت للمسلم حادثة ، أو مسألة ، أو نازلة، فإنه قبل أن يصدر حكمه فيها ، لا بد أن يعرضها على كتاب الله وسنة رسوله كما فهمهما علماء الأمة ، وأئمة الدين ، فإذا عرف حكم الله في المسألة سار بموجهه .

ومن هنا تعلم ضعف الحال الذي آلت إليه الأمة لما أعرضت عن علمائها وفقهائها في كثير من البلدان، فصاروا لا يُستفدون في الأمور العظيمة الجليلة، بل لعلهم آخر من يعلم! فإذا تم الأمر طلب منهم أن يصدروا ما يثبت صحة ذلك القرار! فإن أبوا وأفتووا بخلاف ذلك، أهملت فتواهم وبُحث عن غيرهم! .

ومن هنا تعلم أيضاً ضعف كلام من يبيح ما حرم الله بسبب العنت والمشقة والآلام، ويدرك ببكاء الصبية وترمل النساء ، وتشرد الناس، وهدم بيوتهم ونحو ذلك مما تحركه العاطفة، وتبعه المعانة . وهذا الأمور كلها إن كان لها اعتبار عند الله ، فإن المفتى لن يلغى قيمتها ، بل ستكون من معالم الفتوى ، وإن لم يجعل الشارع لها اعتباراً فلا وزن لما أهمله الشارع وألغاه.

وخلالصة هذه المسألة أنه لابد من عرض أي حادثة وأي مسألة على الشرع قبل البت فيها ، فإذا تبين حكم الله وحكم رسوله وجب الانقياد والاتباع .

المسلمة الثانية:

لا اعتبار شرعي ولا قيمة ولا وزن لما يعقد وعقد وسيعقد من عهود واتفاقيات مع اليهود لأمر ظاهر بين، روضت الأمة على نسيانه والغفلة عنه، بل واستغشأه الثياب، وصم الآذان عن سماعه ألا وهو أن هؤلاء المتنفذين على مصالح الأمة، والمبرمرين لمثل هذه الاتفاقيات لا يمثلونها ولا يعبرون بسانها، ولا يصدرون عن رأيها، [بل إنا نذهب إلى ما هو أشقر قبولاً عند الظباء المروضة- وقد قاله بعض العلماء- من أنه لا كبير فرق بين أن يسوس المسلمين مرتد علماني مفسد، أو كافر أصلي، والواقع يشهد بذلك].

فلا داعي إذن للاكتئاث بما يفعلونه ويقررونها، فالآمة إذا استفاقت واستعصت على المروضين، وتمنعت على التتويج المغناطيسي ، فإنها لن تundo أن تحرق هذه الأوراق! .

ثم إن ثوابت الملة، ومقررات الشريعة لا يستطيع أن يسقطها أو يعدل فيها العلماء والفقهاء، فضلاً عن الجهلة بأساسيات الدين وقواعده أو المعرضين عنها بالكلية، الجاعلين إياها خلف ظهورهم، ومن هذا أنه لا يحق لهم أن يحددوا معالم علاقة الأمة المسلمة بغيرها من الأمم، وقد بين الله ورسوله حدودها ومعالمها، واكتملت أركانها بتطبيق رسول الله صلى الله عليه وسلم- لها ، هذا هو الأصل ، فإن ضعف المسلمين عن حماية بيضة دينهم أن تكسر ، وحوزة ملكتهم أن تقتسم وكانوا أذل من ذلك ، واستباحهم الكفار "فلاهل الحل والعقد" فيهم أن يمنعوا هذا بما تبيحه الشريعة من صلح أو عقد ، على أن يكون مضروباً إلى أجل. أما أن تباع أرض المسلمين فلا! إذ الأرض لله، ولا يجوز بيع ما لا تملك!

[وخلالصة المسلمة الثانية أن ما يبرم الآن من عهود باطل شرعاً؛ لأن من أبرمه فاقد الأهلية، فلا يقبل منه ذلك ، كما أنه لا يقبل منه أن يحدد العلاقات مع الآخرين ، فقد بينها الله ورسوله].

المسلمة الثالثة :

إن مصيبتنا في فلسطين ، على فداحتها وعظمها ، وشدة هولها ، ليست إلا عرضاً واحداً من الأعراض الكثيرة: لمرض الأمة الكبير ، وليس هي المرض ذاته! .

فكما أن مصيبتنا في فلسطين عرض، فمصائبنا في أفغانستان، والبوسنة وكشمير، والحبشة، والفلبين ، والهند ، وطاجكستان ، والأندلس ، كلها من أعراض مرض الأمة الكبير.

وإن كانت هذه أعراضًا ظاهرة ، يراها كل أحد ، فلمرض الأمة أعراض أخرى لا يراها إلا طبيب. وهذه الأمة أمامك : قد كثر فيها الخبث الدائر بين الكفر والشرك والكبائر وعطلت الشريعة وارتقت رأيات العلمنة ، وهبت رياح التغريب ، وعم الفساد حتى صار الموحد سابحاً ضد التيار ، ومع هذا فقد ضعف النقي وتخاذل المؤمن ، وتفرق الأخيار ، وهذه الأمة أمامك : حمى مستباح وباب مخلوع ، وسور قصير مهدم. قد بثت العيون على أطراها ، لا ليحدروها لكن لينبئوها بمقدم الأوامر العليا ، من طرف الأرض الآخر! قد تعلمت فن الترجمة ، واستدانت لذلك قلماً.

فاللت الأمة إلى نبوءة الصادق المصدوق : غثاء كغثاء السيل ، وصدق فيها وصف عدوها لها أنها الرجل المريض. فمن ثم ، فالآمة من ضعفها في ذهول ومن ذلتها وهوانها في شرود ، ومن الضغوط التي عليها ، والبلايا التي فيها ، في حالة من اللاوعي. مما تصدره من قرار ، أو ترسمه من خطة ، إنما هي حيلة العاجز ووسيلة الغريب المضطرب. وحين تعود لوعيها ، ويزول عنها ذهولها ، ستزعم الشفتين عجباً ، مما فعلته في «زمن التيه».

[وخلالصة هذه المسلمة : أنه لا يصح أن نصرفنا الآلام والأعراض إلى تسكينها وتهديتها ، ونهمل المرض الأصل ، ومهما سُكنا الآلام ، والمرض لم يعالج فلن ننتفع بشيء].

المسلمة الرابعة :

أما وقد استبان لك ما مضى ، إن شاء الله ، فلك أن تسأل الآن وتلح في السؤال ، لا عن الاتفاقية ، وتفاصيلها السياسية ، فهذا آخر ما ينبغي أن تفكر فيه. نعم إننا نحتاج ولا شك لمعرفة التفاصيل والخفايا ، لكنها تكون كحجج أهل المنطق ، لا لنثبت بها الدين ، إنما لنرد بها على أهل الباطل. ولك أن تسأل الآن ، وتلح في السؤال عن علاج مرض الأمة الكبير ، وكيف يكون ؟ فإنك إن سألت هذا السؤال تكون قد خطوت خطوتك الأولى في الطريق الصحيح ، الطريق إلى الأقصى . إلا فاعلم أيها المبارك غير مجھل : أن داء أمتنا منها وأنها مصابة بداء نقص المناعة الذاتي ، فصارت تتلف نفسها ، وتتأبى على أطبائها ، والله قد أنبأنا عن الداء ، فقال تعالى ((وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكُ))

[[النساء: ٧٩] قال عز وجل ((إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)) [الرعد: ١١] ثم وصف لفا الدواء ((إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ)) [محمد: ٧] ، وقال ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيُسْتَخْلَفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكَّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ *]

وأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)) [النور: ٥٤، ٥٥]. إنه الطريق الذي سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الطريق الذي لا يلقاه إلا الذين صبروا ، ولا يلقاه إلا ذو حظ عظيم.

ومن معلم هذا الطريق:

- صرف الجهود في تربية الجيل ، وتركيته ، والسعى لرفع مستوى ، بالدعوة المؤوبة ، والمتابعة الدقيقة.

- ومنها نشر العلم الشرعي ، المبني على الكتاب والسنة ، وتعليم الناس وتقريبه لهم. ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والأخذ على أيدي المفسدين ، ومقارعة الظالمين ، وفضح كيد الخائنين.

ومنها الاستفادة من كل الخبرات ، والعلوم العصرية ، والحرص على تعلمها واتقانها والتفوق فيها.

- ومنها التعاون بين فئات الدعاة إلى الله تعالى وتنسيق الجهود ، وترتيب القدرات ، والاجتماع والتآلف.

- ومع هذا كله فلا بد من الصبر ، فالصبر ثم الصبر وهذا هو الطريق الذي لا يمر عبر البيت الأبيض ولا غيره فضلاً عن أن يبدأ منه ، إنما قبلته البيت العتيق.
هذا هو الطريق.. إنه الطريق إلى الأقصى.

من نبأ «السلام» في الصحفة العربية

- التحرير -

لا يبالغ أولئك الذين يؤكدون أن انكساراً حاداً في التاريخ السياسي العربي المعاصر بدأ يُحدث فعله ، من خلال ما يجري هذه الأيام . إننا أمام رحلة تيه أخرى ، تُكرس فصولها ، وترسم باسم واقعية مزعومة ، تجعل من الاسترخاء فوق فراش الهزيمة شجاعة لا تُدان بها شجاعات الزمان (الثوري) السابق! وتدفع بمن يبيعون كل شيء حتى آخر القطرات من ماء وجوههم- رموزاً للتعقل والاعتدال ، تعرف - وحدها- من أين تؤكل الكتف.

إننا نرى فصول الهزيمة الجديدة بكل حدتها ، غير أننا ندرك مع ذلك أن إفرازاتها القادمة ربما تجاوزت ظلام الهزائم العربية السابقة ، وكانت أشد قتامة من كل ما مضى في زمن المد الثوري البائد. وما اتفاق "غزة وأريحا أولاً" إلا الحجر الذي كسر الباب ، لتدخل من بعده عواصف الهيمنة الإسرائيلية فيتبع بعضها بعضاً . وقد حرصنا هنا أن ننقل للقارئ بعضاً مما كتب عن هذا الاتفاق في الصحفة العربية ، بعد أن قدمنا موقفنا منه - إجمالاً ، ورؤيتنا تجاهه في موضع آخر ، وسنكتفي هنا بذكر النص المنقول كما هو دون تعليق وفي الإشارة ما يعني من العبارة.

- البيان -

بين قيادتين : في الحالة الفلسطينية ، القيادات المعنية ، تعيش حالة تتجاوز ظاهرة اليأس. إنها تفقد الرؤية التاريخية وتسهيل التعامل مع القضايا المصيرية ، وتعتبر الدور (دورها) ، أهم من الحفاظ على القضية والهدف. إنها تقبل التوقيع على صيغة غامضة مجحفة ، وتترك كل ما يتعلق بالمستقبل غامضاً عائماً ، معلقاً برقبة جملة مُطلقة ، لا معنى لها، يسمونها "الحل النهائي" إنهم لا يريدون منا التوقيع على تسوية سياسية فقط ؛ بل يريدون أن نغير عقلينا وتراثنا الثقافي وسيحصل. لماذا لا نسمع لحظة لصوت الخصم وهو يشرح الاتفاق في الكنيست؟ أليس هو شريكنا في الاتفاق؟ ليس هو شريكنا في المصالحة التاريخية ، كما تقول مقدمة الاتفاق؟ استمعوا إليه جيداً : "ما هو الشيء الذي أصررنا عليه؟" يسأل رابين ويجيب قائلاً : "أولاً: هذا اتفاق ثانوي بيننا وبين الفلسطينيين ، وليس مشروطاً بما قد ننجزه مع لبنان أو سوريا أو الأردن.

ثانياً : أصررنا على أن الاتفاق لا يشمل القدس ، لا في إطار التسوية الجزئية ، ولا في إطار التسوية الشاملة. القدس لن تكون مسلولة في أي مجال من صلاحيات المجلس أو الهيئة التي ستدير شؤون الفلسطينيين في المناطق المحتلة. القدس باقية تحت السيادة الإسرائيلية وكعاصمة لإسرائيل" . وقال إسحق رابين - خصمنا وشريكنا في الاتفاق - : «لهذا الاتفاق تقسيم: الجزء الأول للتنفيذ هو قطاع غزة، حيث المستوطنات ستبقى، والجيش الإسرائيلي سيبقى للدفاع عن المستوطنات. أما أريحا فبشرط أن تكون المقر للهيئة التي ستدير بداية الحكم الذاتي. هذا هو الشرط لأريحا ، الأفضل أن يكون المقر هناك في أريحا من أن يكون في مكان قريب من القدس ، يجب إبعاد المقر عن القدس. لقد وعدنا بأننا نذهب إلى تسوية جزئية مع الفلسطينيين : دون المساس بالاستيطان اليهودي ، دون المساس بالأمن ، دون الالتزام بصورة أو بشكل الاتفاق النهائي..

من مقال لبلال حسن - الشرق الأوسط ٩٣/٩/١٣ م

إسرائيل الكبرى باتساع النفوذ : «تعالوا نراجع كل التصريحات لرابين وبيريز ، وكل من يتحدث في إسرائيل عن السلام ، ليتبين التمسك بأن السلام معناه : إقامة كل العلاقات بين الدول العربية لإسرائيل. هذا الإصرار الذي يضغط في كل تصريح إسرائيلي على إقامة علاقات كاملة هو الدافع الحقيقي ، الذي دفع رابين وحكومته وحزبه إلى عرض اتفاق غزة وأريحا. حلم رابين هو أن تستغل إسرائيل كل مجالات الخبرة والتقوّق في تسريب نفوذها تحت ستار "تقديم المساعدات للدول العربية ، وتقديم الخبرة" بحيث تصل في يوم من الأيام إلى السيطرة الفنية والتجارية والزراعية والصناعية في الدول العربية ، وهكذا تقوم. "إسرائيل الكبرى" لا باتساع الأرض ، بل باتساع النفوذ ، والسيطرة على الاقتصاد والثقافة ، وعلى كل حال فإن حلم إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات عن طريق ضم كل هذه المساحات الشاسعة من الأرض ، يقتضي توفر أعداد ضخمة جداً من اليهود ليقيموا في هذه الأرض ، أما السيطرة الاقتصادية فلا تحتاج لهذا العدد ، بالإضافة إلى أن ضم كل هذه الأرض يقتضي خوض إسرائيل حرباً بالغة الخطورة في زمن يكره العالم فيه قيام الحروب ، بينما السيطرة الاقتصادية تتم بنعومة ولا تستثير النفوس كالحروب ، فهي تسرّب تحت ستار فضفاض كادعاء تبادل الخبرات ، والتعاون من أجل الشعوب».

أحمد أبو الفتح : الشرق الأوسط ٤/٤/١٤ هـ

محور إسرائيلي/فلسطيني:» مرحلة جديدة فعلاً في تاريخ الشرق الأوسط تبدأ مع توقيع الاتفاق الإسرائيلي الفلسطيني في وانشطـنـ ما هو الجديد فيها؟ قيام محور (فلسطيني/إسرائيلي) ، مدعو إلى صياغة تعايش (عربي/إسرائيلي) أولـيـ يـشـمـلـ مـخـلـفـ شـؤـونـ الـحـيـاةـ الـيـوـمـيـةـ والاقتصادية العامة والسياسية ، وعبارة "محور" في هذا المجال غير دقيقة لأن قوة أحد القطبين - أي القطب الإسرائيلي - تتجاوز وزن القطب الآخر ، وهي في أقصى الضعف. إن الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات اختار لفلسطيني الأرض المحتلة ارتباطاً استراتيجياً نهائياً بإسرائيل والعالم الغربي. وهذا الواقع لن يتبدل في جوهره ، مهما كانت صورة النظام الجديد ، الذي قد ترسو عليه التوازنات المقبلة في المنطقة ، مهما حصل وانطلاقاً من أرض الواقع ذاته ومن نصوص هذا الاتفاق - وهي استراتيجية مع أن الاتفاق مؤقت (وهذه إحدى المفارقات) - سيظل المحور الإسرائيلي / الفلسطيني جسماً مرتبطاً بما يدعى الشمال ، ومنفصلاً استراتيجياً عن المنطقة الجنوبية. الخلاصة : أن الصراع العربي/ الإسرائيلي مسألة انتهت وفق منطق هذا الاتفاق الإسرائيلي / الفلسطيني ، وهذا ما يؤكدـهـ مـحـمـودـ عـبـاسـ (أـبـوـ مـازـنـ)ـ أحدـ مـهـنـدـسـيـ هذاـ الـاـتـفـاقـ ،ـ وـلـيـسـ الـأـمـرـ بـحـاجـةـ إـلـىـ تـأـكـيدـ ،ـ فـيـ أيـ حـالـ.ـ وـبـدـيـلـ الـصـرـاعـ عـرـبـيـ/ـإـسـرـائـيلـيـ مرـحـلـةـ تعـامـلـ جـدـيدـ -ـ عـلـىـ ماـ يـبـدـوـ بـيـنـ الـمحـورـ إـسـرـائـيلـيـ/ـفـلـسـطـيـنـيـ الـجـدـيدـ ،ـ وـالـأـطـرـافـ الـعـرـبـيـةـ الـأـخـرـىـ.ـ الـمـحـورـ الـجـدـيدـ مـوـحـدـ وـمـدـعـومـ مـنـ الـقـوـىـ الـعـظـمـىـ فـيـ حـيـنـ أـنـ الـأـطـرـافـ الـعـرـبـيـةـ الـأـخـرـىـ ،ـ هـيـ أـطـرـافـ لـاـ تـنـسـيقـ جـدـياـ بـيـنـهـاـ ،ـ مـعـ الـعـلـمـ أـنـ بـعـضـ هـذـهـ الـأـطـرـافـ -ـ أـيـ مـصـرـ.ـ اـخـتـارـ الـاـرـتـبـاطـ مـبـكـراـ بـمـاـ يـدـعـىـ الشـمـالـ وـهـذـاـ هـوـ بـالـفـعـلـ الـمـعـنـىـ الـاـسـتـرـاتـيـجـيـ الـأـسـاسـيـ لـاـتـفـاقـ "ـتـكـامـبـ دـيفـيدـ"ـ ،ـ كـمـ أـرـادـهـ السـادـاتـ.

ليس هناك أحد يدافع عن نص هذا الاتفاق بجرأة وصراحة ، حتى أبرز مهندسيه وعبارة "أولاً" في تعبير "غزة - أريحا أولاً" تتضمن اعترافاً بأن قيمة هذا الاتفاق الأول المفترضة ليست فيه ، بل بما قد يعقبه. هل تكون هذه الـ "أـوـلـاـ"ـ نـوـاـةـ كـيـانـ فـلـسـطـيـنـيـ؟ـ أـمـ أـنـهاـ مـرـحـلـةـ أولـيـ منـ حـكـمـ ذاتـيـ فـصـلـ وـفـقـ الـرـغـبـاتـ إـسـرـائـيلـيـةـ وـقـدـ لـاـ يـتـحـقـ حـتـىـ عـلـىـ بـعـضـ أـجـزـاءـ مـنـ الضـفـةـ الغـرـبـيـةـ؟ـ الـوـقـائـعـ المـادـيـةـ الـمـخـلـفـةـ.ـ بـمـاـ فـيـهـاـ السـيـاسـيـةـ -ـ تـرـجـعـ أـنـ ماـ يـعـقـبـ "ـأـوـلـاـ"ـ سـيـكـونـ أـيـضاـ وـفـقـ الـرـغـبـاتـ إـسـرـائـيلـيـةـ.ـ فـلـيـسـ إـسـرـائـيلـ مـاـ تـخـشـاـ حـالـيـاـ إـذـاـ لـمـ تـقـمـ وـزـنـاـ لـرـغـبـاتـ الـجـانـبـ الـعـرـبـيـ ،ـ أـيـ لـرـغـبـاتـ الـعـرـبـ عمـومـاـ ،ـ بـمـنـ

فيهم أولئك الذين باتوا وفق نص الاتفاق الأخير في العالم الاستراتيجي الثقافي الشمالي عبر القطب الآخر الذي هو إسرائيل. أما إذا كان ما يدعى "التحول الإسرائيلي" الذي يتحدثون عنه قائماً فإن مرحلة هدوء وسلام قد تبدأ. وإذا حصل المرجح -وفق المعادلة الراهنة وأبرز عناصرها نصوص الاتفاق ذاته - فإن الفوضى هي ما ينتظرون جميعاً في المنطقة ، لا السلام الذي يتحدث عنه أبو مازن بابتهاج تام في القاهرة. بعض هذه الفوضى ينجم حكماً عن مصير ثلاثة ملايين فلسطيني ، لن يفسح لهم المحور الإسرائيلي / الفلسطيني الجديد مكاناً ، وبعضاها الآخر سينجم عن سؤال قد يطرح ولو تجاوزاً : إذا تبين أن السلام المقبل الإسرائيلي وحسب ، على حساب حقوق العرب ولو بحدها الأدنى ، فما الذي يحول دون توليه لحروب عديدة بين القوى الرافضة حالياً ومعظمها إسلامي وأكثر من حكومة في المنطقة؟! وفي أي حال لن يكون مستغرباً طرح بعض الإسلاميين سؤالاً على بعض الحكومات وهو "لماذا تقبلون إسرائيل وتضيق صدركم بنا؟" خصوصاً إذا كان هؤلاء

الإسلاميون من غير دعاة العنف وممارسيه «.

الأسبوع العربي ٩٣/٩/١٣ م

سياسة الإخفاء: « لا توجد صفة سرية بين شريك قوي للغاية ، وآخر ضعيف للغاية ، إلا وتنطوي بالضرورة على تنازلات ، يحرص الأخير - من فرط الارتباط - على إخفائها. إذ أنه لا تزال هناك تفاصيل كثيرة ، مما يتquin التفاوض بشأنه ، وهناك بالمثل أشياء عده غير قابلة للوزن بدقة ، بتعين إيضاحها، بل ثمة آمال إما أن تتحقق أو يتم القضاء عليها. وعلى رغم كل شيء فإن الصفة التي بين يدينا تتبئ عن تعب قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وعزلتها ، وعن دهاء إسرائيل ، فكثير من الفلسطينيين يسألون أنفسهم : لماذا يتquin علينا بعد سنوات من التنازلات أن نتنازل مرة أخرى لصالح إسرائيل والولايات المتحدة ، في مقابل وعود وتحسينات غامضة في ظروف الاحتلال ، لن تحدث حتى إجراء محادلات الوضع النهائي بعد فترة تتراوح بين ثلاثة وخمس سنوات ، بل ربما لا تحدث حتى ذلك الوقت؟! ولم نر حتى إقراراً واضحاً من جانب إسرائيل (التي لم تعرف بعد بأنها سلطة الاحتلال) بإنها الاحتلال ، الذي توأبه سلسلة من القوانين والأنظمة الجزائية المعقدة ، ولم يرد شيء عن الـ ١٣ ألف معتقل سياسي فلسطيني ، الباقي في السجون الإسرائيلية ». إدوارد سعيد: الحياة ٩٣/٩/١

رحلة في المجهول : « لا يريد أحد أن يطرح السؤال الصعب : ما هي آثار الاتفاق على الشرق الأوسط؟؛ لأن سؤالاً كهذا يوقف الجميع من سطوة الحلم ، أو يفضح تقاهة الغنية. أخطر ما في الاتفاق الفلسطيني / الإسرائيلي أنه يرهن مستقبل المنطقة بأكملها بمستقبل كانتون صغير اسمه "أريحا - غزة" ويعطيه وظيفة الكلية الاصطناعية ، التي يعاد فيها غسل كل مدخلات المنطقة ومخرجاتها. إن الاتفاق الفلسطيني / الإسرائيلي مبني على أساس إنجاح جزء مرحلي ، هو في حد ذاته جزء من مرحلة انتقالية ، هي في حد ذاتها تفتقد الوضوح في النهايات والأهداف! بمعنى أنها "رحلة في المجهول" المهم أن ليس هناك ضمانات أبداً للانتقال من الحل الجزئي إلى الحل الانتقالي الشامل ، أي من كانتون أريحا- غزة إلى كانتون الضفة الغربية ، وبعد ذلك الدولة المستقلة كما يطمح الفلسطينيون. ثم كيف سيكون رد فعل الفلسطيني على "قمع" السلطة الفلسطينية له علماً بأن الوظيفة الم موضوعية الوحيدة المرشحة لها سلطة الكانتون هي القمع (!؟) بمعنى: حماية إسرائيل من إمكانية الاعتداء الفلسطيني عليها ، وعلى مستوطنيها ، وإذا فشل رجال الشرطة الفلسطينية في الأمر ، فسيعود الاحتلال ، الذي انسحب قواته إلى مسافة كيلو متر (!) خارج أريحا أو خارج

قطاع غزة. إن إسرائيل ومعها أمريكا ودول أوروبا ت يريد تسويق حل كانتون "غزة - أريحا" كحل يبرر الانفتاح الاقتصادي الشرقي أوسطي وقبل ذلك يبرر البحث عن مصادر تمويل. وبالفعل بدأت عطية استحلاب المعونات من الدول الصناعية ، ومن الدول العربية الغنية ، وكان حل كانتون غزة . أريحا هو الحل الشامل ، وبذرية إنجاح التجربة الفلسطينية دون وجود مخطط حقيقي واضح لما يعنيه مشروع مارشال ، سوى أنه فرصة أخرى لإيجاد مصادر تمويل ، لبناء اقتصاد إسرائيل لمرحلة جديدة من وجودها في المنطقة ، وبدور جديد.

ثانياً : اتجاه الإسراع في تطبيع العلاقات بين الدول العربية وإسرائيل ، بلغ في بعض الأحيان درجة الدعوة إلى إلغاء الجامعة العربية ، وليس فقط رفع المقاطعة العربية عن إسرائيل لقد فتحت اتفاقية كامب ديفيد المنطقة على بحر العواصف ، لكنها لم تكن كافية للعصف بالمنطقة ، فهل يكون كامب أريحا مركز العاصفة الثانية؟. حقائق الاقتصاد السياسي للحل المطروح لا تتجاوز إعادة ترتيب ديمغرافية تخدم أهداف التنمية الاقتصادية الإسرائيلية في مرحلة انقلابها لعصر جديد ، عصر قيادة النظام الشرقي الأوسطي. إن ما يفسر هذا هو طبيعة الحل المرحلي المقترن والمطروح في غزة وأريحا أولاً. وليس صدفة أن يتم اختيار المنطقتين حين تتم دراسة التوزيع الجغرافي للمناطق الصناعية في إسرائيل. بالنسبة لمنطقة غزة وما تشكله من مخزون عمالي كثيف ، وبمستوى معيشي متدن أنشأت إسرائيل في العامين الماضيين أكبر منطقة صناعية تقع على الشرق من قطاع غزة وتنصل بالمعابر الثلاثة ، التي تصل القطاع بإسرائيل. سيكون هم المشروع المعروف بمشروع مارشال في ما يخص الجانب الفلسطيني هو إعطاء قطاع غزة كل الاحتياجات التي يتطلبها الحفاظ على هذا القطاع ، كممول للأيدي العاملة الرخيصة ، وداخل نظام أمني يضبطه الفلسطيني قبل الإسرائيلي. وحين يطالب شمعون بيريز بتمويل لمشروع الحكم الذاتي ، لا ينسى أن للمشروع وجهاً إسرائيلياً ، هو إيجاد عماله للعمل الفلسطيني ، حيث أن قطاع غزة لا يكفي سكانه ، وهنا يتلاخس المشروع بتحسين شروط الإسكان والمجاري في غزة ، وتعمير بنايات عالية في مخيمات اللاجئين ، بدل غرف الصفيح بأرضيتها الرملية ، وتغطية قوات الإسالة ، وتجفيف المستنقعات. لقد جربت إسرائيل ذلك خلال ما سمي بفترة الحصار ، وقبلها جربت استعمال البطاقات الممغنطة لضبط دخول عمال غزة إلى إسرائيل ، وخرجت بنتائج مشجعة. فهل يمنع ذلك من تطوير معاهد تعليمية لتطوير مهارات الأيدي العاملة الفلسطينية ، بما يتاسب وحاجة المصانع الإسرائيلية في المنطقة الصناعية؟. على الطريق من أريحا ، وإلى القدس أقامت إسرائيل منطقة صناعية جديدة في المكان الذي يعرف باسم "الخان الأحمر" ، أو بالعبرية الفصحي "معاليه أدوميم" وفي غربه أقيمت مدينة استيطانية كبيرة تحمل الاسم نفسه ، وتشكل الحد الشرقي للقدس الكبرى. هذه المنطقة الصناعية بحاجة إلى تمويل من مشروع مارشال ، الألأ الذي يرعاه شمعون بيريز باتجاهين : تمويل المنطقة الصناعية وحاجاتها ، وتمويل إسكان الأيدي العاملة الفلسطينية في أريحا. وهنا تصبح عودة اللاجئين ضرورية ، بل وتلبي حاجة سياسية ، وليس إلى مخيمات هذه المرة بل إلى مساكن عصرية. الأمن مضمون ، منطقة مغلقة في الأغوار اسمها "أريحا" يحشد فيها بفضل السلام ، وبفضل اتفاق أريحا وغزة أولاً أكثر من ١٠٠ ألف لاجيء "عائد" ينطلقون صباحاً إلى الغرب لمسافة ١٠ كيلو مترات حيث "معاليه أدوميم" الصناعية ، ويعودون في المساء إلى بيوتهم ، أما إلى الغرب من ذلك - القدس - فممنوع ».

الحوادث ٩٣/٩/١٧

هزيمة ثلاثة للعرب : « إن الاتفاق الإسرائيلي الأخير مع منظمة التحرير الفلسطينية بشأن الاعتراف المتبادل ، وإعطاء المنظمة قريتين فلسطينيتين يعتبر في المقاييس السياسية والاستراتيجية

هزيمة ثالثة للعرب في تاريخهم المعاصر. لم يقتصر الأمر على قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، وإنما هذا الاندفاع نحو مباركة الأنظمة العربية للاتفاق ، وتسابق بعضها للسير على غرار اتفاق الهزيمة. وفيما يلي سنجاول رسم صورة انعكاسات ذلك الاتفاق / الهزيمة على الواقع العربي في المرحلة القادمة:

أولاً: إن هذا الاتفاق سينتج صراعاً فلسطينياً / فلسطينياً بسبب الاختلافات السياسية والأيديولوجية للقوى الفلسطينية ، كما أن ذلك الاتفاق سيفرض على قيادة منظمة التحرير الفلسطينية فم الانتفاضة الفلسطينية في الأراضي التي منحت لها ، وفي الأراضي المحتلة الأخرى ، يضاف إلى ذلك ستكون مهمتها ضبط المناوئين والمعارضين للاتفاق.

ثانياً: إن غزة تقع على الحدود المصرية - الإسرائيلية وإن أريحا تقع على الحدود الإسرائيلية الأردنية ، وإن طبيعة المناطق الحدودية هي مجال صراع حدودي دائم ، ذلك يعني انتقال الصراع من حدود إسرائيل وداخلها وتحوله إلى صراع حدود مصرى/فلسطينى من جهة ، وأردنى / فلسطينى من جهة أخرى.

ثالثاً: انتهاء المطالبة بتحرير فلسطين للأبد ، وأن المسألة لا تعود كونها مسألة أراض عربية محتلة عام ١٩٦٧.

رابعاً: تطبيع العلاقات العربية - الإسرائيلية ويترب على ذلك رفع المقاطعة لإسرائيل ، وعلاقات اقتصادية ودبلوماسية مع الدول العربية ، تكون السيطرة فيها للطرف القوي والمدعوم من قبل الغرب ، وهو الطرف الإسرائيلي بدون أدنى شك.

خامساً: إن مثل هذه الحالة بين العرب وإسرائيل تخدم المصالح الغربية في المنطقة ، وتستطيع إسرائيل في المستقبل الاستغناء عن المساعدات الأمريكية وغيرها باعتمادها على نفسها وعلى جيرانها العرب.

سادساً: أحد عناصر سيناريو الاتفاق وانعكاساته المستقبلية هو المتغير التاريخي الذي قد يقلب كل الموازين ويغير الأحوال ، ويصعب على أحد أن يتتبأ به ، فما يجري اليوم ليس نهاية القضية ، وما يسمى بالسلام على حساب العرب ليس أمراً حتمياً ، فقد علمنا التاريخ بمتغيرات تحولجرى الأحداث التاريخية سلباً أو إيجاباً «.

القدس ٩٣/٩/٢٣

الاتفاق معلوم إسرائيلياً مجهول فلسطينياً: المستوطنات موجودة والجيش سيفى موجوداً على مشارف المدن ، وكذلك مرعية الأمن بما في ذلك مرعية الأمن الفلسطيني ، هذه نصوص موجودة في الاتفاق أما حل الإدارة المدنية ، فهذا لا يعني شيئاً لأن هذه الإدارة أوجدها الليكود عام ١٩٨٢ ليحسن من صورة الاحتلال وفشلها. نحن لا نعتبر أن الاحتلال في ضوء بنود الاتفاق قد رحل ، لكننا نعتبر أن الاحتلال قد تكرس ولكن بصور أخرى وبأشكال أخرى «. « هذا الاتفاق، من الناحية السياسية دفع بالقضية الفلسطينية إلى المجهول ، وهو في اعتقادى مجهول فلسطينياً، ومعلوم إسرائيلياً، ذلك لأنه أبقى السيادة على الأرض بيد إسرائيل ، وكذلك مرعية الأمن الداخلي والخارجي أيضاً ، وعلق كل القضايا الخلافية إلى أمد غير معلوم ، وبذلك يكون هذا الاتفاق قد أعطى الولاية الجغرافية لإسرائيل ، ومنها القدس ومستقبل الأرض. أما من الناحية الاقتصادية - وللأسف الشديد - يريد الاتفاق تحويل الفلسطيني إلى منصة انطلاق للاقتصاد الإسرائيلي للمنطقة العربية ، عبر الفيدرالية الفلسطينية/الإسرائيلية لمخاطبة الوضع العربي ، علماً بأن الفلسطينيين كانوا وما زالوا حريصين عبر نضالهم الطويل للاستقلال على محیطهم العربي، ولكن هذا الاتفاق حولهم إلى حربة موجهة إلى المحیط العربي..

باختصار جاء الاتفاق لإعادة تنظيم وترتيب الاحتلال، بشكل مريح للاسرائيليين، وكذلك توظيف السلطة الفلسطينية في المهام التي تؤمن للاحتلال الاستقرار والأمن الاقتصادي «.

عبد الرحيم ملوح (عضو الهيئة التنفيذية لمنظمة التحرير)

الوطن العربي ٩٣/٩/٢٤ ، الأسبوع العربي ٩٣/٩/٢٠ م

المنظمة في الموقع الجديد: « اللعبة الحقيقة التي ستكون من نصيب منظمة التحرير هي اللعب على الصعيد المحلي المحدود مع سكان الضفة والقطاع فقط ، وهو ما يتناسب مع حجم طموحات وأهداف ورغبات قيادة هذه المنظمة ، وينسجم مع طموحات وأهداف ورغبات إسرائيل التي تلعب على نطاق حجم أكبر ، هو نفسه حجم الوطن العربي. وتتجدد هذه اللعبة المحدودة أساساً الآن في الاهتمام بإقامة نقطة مراقبة عسكرية في أريحا وأخرى في غزة ، تحتشد فيها شرطة منظمة التحرير للوفاء بتعهد السهر على راحة وأمن إسرائيل ، وتجنب الجندي والمستوطن الإسرائيلي آلام مواجهة الانتفاضة الفلسطينية ، إذ سيكون قمع الانتفاضة الفصل الأول من هذه اللعبة المحدودة.

الفصل الثاني : سيكون خوض صراعات السيطرة على مختارية هذه القرية أو تلك ، وبلدية هذه المدينة أو تلك. وستكونخلفية المشهد هي الصراع على أموال المساعدات والمشاريع ، التي سيقدمها المجتمع الدولي ، والحصول على حصص فيها ، تتحول إلى البنوك السويسرية فوراً. مثل هذه اللعبة المحدودة ستكون هي لعبة اللاعب الذي ألقى أوراقه كلها على طاولة الكيال ، وانسحب ليقامر بالمالايم في أزمة القرى والمدن الفلسطينية. ولن ينسى في كل مناسبة أو شجار "طوشة" في قرية من هذه القرى أن يصرخ في وجوه المنافسين إنه "الممثل الشرعي الوحيد" للشعب الفلسطيني! وإذا لم يصدقوا ، فسيفتش في جيوبه ، ويخرج الشهادة الإسرائيلي ، ويضعها أمام أعين المشككين (!) أما الفلسطينيون على الساحل (٨٠٠) ألف سيحمدون الله ألف مرة أنهم بعيدون عن قبضة "الممثل الشرعي الوحيد" الذي ستكون متابعيه كثيرة : حماية المستعمرات الإسرائيلي وحماية نفسه وحماية نفسه من نفسه ».

الوطن ٩٣/٩/٢٢ م

العدو المشترك : « من بين العوامل الرئيسية التي دفعت بكل من إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية للتوصل إلى معايدة السلام بينهما ، عامل مثير حقاً للدهشة الشديدة. فلم يكن بوسع الطرفين التوصل إلى مثل هذا الاتفاق أبداً ، لو لم يكونا مدفوعين له لمواجهة عدوهما المشترك ، وهو "التطرف الإسلامي". ويقول المحللون من كلا الجانبين : إن اتفاق السلام الذي تم توقيعه مؤخراً بين إسرائيل والمنظمة - وهو الاتفاق الذي ربما يجعل من العدوين السابقين حليفين - هذا الاتفاق جاء لأن كلاً من إسحق رابين وياسر عرفات بدأ يستشعر الخطر الداهم هذه المرة من المسلمين الراديكاليين ، الذين يرفضون أية مهادنة مع اليهود. ويقول "داني روينشتاين" المعلق الإسرائيلي في "الديلي ستار" الإسرائيلي: "إن خوف إسحق رابين من التطرف الإسلامي هو الذي دفعه لتغيير رأيه في منظمة التحرير ، التي كان يصفها باستمرار بالإرهاب والرغبة في القضاء على إسرائيل.. ويقول "زكريا القاق" المحلل السياسي الفلسطيني : هناك مصلحة مشتركة بين إسرائيل والمنظمة للوقوف في وجه التطرف الأصولي ، الذي يرى عرفات وكل الزعماء العرب أنه يشكل تهديداً لهم ».

(كريستيان ساينس مونيتور).

نقاً عن الوطن ٩٣/٩/٢٧ م

المصلحة الأمريكية والتكاليف يدفعها العرب : «تحدث خالد الحسن (عضو لجنة فتح المركزية ورئيس لجنة العلاقات الخارجية في المجلس الوطني) في لقاء أجرته معه (الحوادث) عن الحياة الجديدة ، التي تسعى السياسة الأمريكية إلى ضمانها لإسرائيل من خلال اتفاق السلام فقال :»السياسة الأمريكية الجديدة التي تحرك ما سماه بوش" النظام الدولي الجديد ، في أداء شرطي العالم لا تستطيع الاستمرار في دعم الكيان الإسرائيلي بخسارة. فهذا - على مستوى المال - يكلف الخزينة الأمريكية نحو ١٥ مليار دولار. وأشار إلى تفاصيل هذه الفاتورة تقرير صادر عن أحد مراكز الأبحاث في وشنطن ونيويورك. ومن هنا كان ضرورياً إعطاء هدف جديد أو حياة جديدة لإسرائيل لتحقيق مصلحة أمريكية بمستوى التكاليف ووجدت وشنطن أن هذه المصلحة يمكن أن تتحقق بتكاليف يدفعها العرب ، وهذا ظاهر في السعي إلى الإمساك بالمفاصل ، وإدماج إسرائيل في الدورة الاقتصادية الإقليمية. وحين سأله الحوادث : "لماذا مقارعة المستحيل؟" الاتفاق قد يكون أفضل الممكن ، ولعله خطوة تتبعها خطوات في مسار طويل وليس نهاية المطاف؟" أجاب قائلاً : "أتمنى أن يكون الاتفاق خطوة تتلوها خطوات ، لكن الملاحق قيدت الفلسطينيين في شكل يوصد أمامهم أبواب إنهاء الاحتلال ، وتبعاً لمواد هذه الملاحق ، وخصوصاً ما يتعلق منها بالأمن ، فالسيطرة في يد إسرائيل. إن الأمن الخارجي مثلاً في يدها. ما معنى ذلك؟ يقيني أن العرب لن يحاربوا إسرائيل ، ولا أوروبا. الفدائي الفلسطيني هو الذي يحارب إسرائيل من الخارج ، فضلاً عن الفدائي اللبناني. وهذا يعني أن إسرائيل الحق في العودة بجيشها لحماية أنها الخارجية ضد أي عمل وطني ونضالي ، حتى ضمن غزة وأريحا. وهذا الحق تكرسه بنود في الملاحق ، تقول : إن تل أبيب مسؤولة عن أمن المستوطنات والمستوطنين ، ولها حرية استعمال الطرق في غزة وأريحا من أجل تحقيق أهدافها هذا لا يمكن أن يسمى انسحاباً ، حتى في القانون الدولي ، أو في المفهوم الأمريكي أو البريطاني ، من حيث زوال الاحتلال. باقي حتى في حال شمول الحكم الذاتي كل الضفة الغربية وقطاع غزة ».»

الحوادث ٩٣/٩/٢٤ م

أريحا تصبح معتقلاً: «مشروع (غزة وأريحا أولاً) أنهى هذه الانتفاضة ، وأرى أن اختيار أريحا بالذات هو هدف إسرائيلي ، لكي تتحول أريحا إلى معتقل واسع ، لكل من يتحرك في الضفة الغربية مقاوماً الاحتلال ، على الطريقة التي كانت متتبعة قبل إقرار هذا المشروع. يعني: غداً بدل أن تعتقل إسرائيل المناضلين من أبناء شعبنا، وتضعهم في سجونها، أو نطردهم إلى جنوب لبنان أو الأردن، الآن أصبح يوجد "شريط فلسطيني" سيتولى هو هذه المهمة باعتباره مرجعاً فلسطينياً، حكومته إن جاز التعبير - أو قيادته متفقة مع إسرائيل على خط سياسي معين ، أحد أهم أبعاده إبقاء الأمن بيد إسرائيل. إن الفلسطينيين الذين يعيشون في الشتات باتوا يشعرون بأنهم غير عائدين إلى فلسطين ، وأن الخيارات المتبقية لهم إما التوطين حيث هم ، أو التهجير إلى ما هو أكثر بعدها عن فلسطين ، أي إلى استراليا وكندا وأمريكا ، وغيرها من الدول، التي لاحظنا أنها بدأت تنتهج في المدة الأخيرة منهجاً جديداً في تخفيف شروط القبول بالهجرة إليها.»

الصراع تحول من صراع فلسطيني/إسرائيلي إلى خلاف فلسطيني/فلسطيني. فبدلاً - ويا للأسف - من إيجاد حل مشرف ومحبول لمشكلة شعبنا ، نجد أنفسنا أننا أوجدنا الحل لمشكلة إسرائيل قضية الاحتلال. اليوم إسرائيل هي أمام الرأي العالمي بلد متسامح أعطى وأعاد أرضاً وفرصة لحكم ذاتي ، يفترض أن يتحول إلى دولة مستقلة مستقبلاً ، بينما هي في الواقع أوجدت السكة أو الطريق الموصى إلى تفريغ الضفة الغربية ، وإلى شطب قضية القدس ، وإلى وأد الانتفاضة وإلى تحويل الفلسطيني نفسه مسؤولة ما قد يتربّ عليه مثل هذا الحل. أعود مرة أخرى لأقول إننا كنا نبحث

عن حل لمشكلة مستعصية ، فإذا بنا نستخرج ونخترع مشاكل جديدة ، قد لا تكون أقل صعوبة من المشكلة الأساسية وقد تفرز عنفاً وعدم استقرار أكثر مما شاهدناه في السنوات الأربعين الماضية. إن المنظمة لم تحقق سلاماً ، بل استسلمت لحل مفروض بالضغط ، والقوة والتآمر ، وما جرى الآن قد يفرض استقراراً بمعنى قد يحول دون حروب جديدة في المنطقة. ولكن لنا في التاريخ عبراً كثيرة ، هذا الوضع لا يمكن أن يستمر إلا في ظل استمرار الهيمنة الأمريكية / الإسرائيلية ، وفي اللحظة التي تخف فيها هذه الهيمنة أو تضعف ، فكل شيء في الشرق الأوسط سيكون مهيئاً للانفجار الكبير لإزالة آثار هذه النكبة الجديدة.

الآن نحن أمام مجھول جديد سيفوز حتماً قوى جديدة مضادة لهذا المشروع التصفوي للقضية الفلسطينية ولقضية القدس ومصير شعب فلسطين. وبوادر هذا الأمر أن هناك تياراً أصولياً ينمو ، وأعتقد أن الأجياء الجديدة ستفتح المجال أكثر وأكثر إلى نهوض مثل هذا التيار ». الدولية ٩٣/٩/١٥ م

تحت راية إجهاض التطرف : « ترفع الولايات المتحدة في سبيل إقناع الأطراف العربية بتقديم التنازل تلو الآخر راية التهديد بمن تسميه المتطرفين والإرهابيين في البلدان العربية الذين يتربصون بالعملية السلمية الدوائر ، ويخططون للانقضاض عليها إن فشلت ، وتحت تلك الراية - راية إجهاض ما يسمى بالterrorism - تدفع الإدارة الأمريكية عجلة المسيرة السلمية وتزودها بالزخم اللازم. تتسع دوائر الاستفهام إزاء اللغز الأمريكي المتعلق بقضية الإرهاب وتعريفه ، عندما تلاحق دوائر الأمن الأمريكية أي تصريح لشيخ هنا أو خطيب مسجد هناك لتصفه بالإرهاب وتهمه بالتحريض عليه. وقد عجز القضاء الأمريكي إلى الآن على سبيل المثال عن إثبات أية تهمة حقيقية ضد الشيخ عمر عبد الرحمن - أيها كان الموقف منه - ، ولم ت تعد الاتهامات الحقيقة إطار ملاحظة دعوات التحرير في خطبه وتصرحياته ، وهي التي لا تقارن مع دعوات جيش "كاهانا حي" لإبادة العرب والمسلمين حيث كانوا ، فضلاً عن مقارنتها بمارسات ذلك الجيش ومعسكرات تدريبيه الفعلية. عموماً ، ليس من اليسير ولا من المتوقع فك سر هذا اللغز في تناقض الموقف والممارسة في هذه القضية إذا تمت المناقشة بشكل يفصلها عن مجمل السياسات الأمريكية العليا إزاء مختلف القضايا ، بل يجب النظر إلى أن قضية (الإرهاب الدولي) والتصنيف بالإرهاب وغيره ليست سوى جزء مكمل من تلك السياسات ، ولا علاقة له بموضوع الإرهاب كموضوع مجرد لا من قريب ولا من بعيد. والقرار بتصنيف هذا البلد أو ذاك أو تلك المنظمة أو غيرها هو قرار سياسي أولاً وآخرأ ، له خلفيات ومعطيات ويرمي لتحقيق سياسات واضحة من خلال الضغط أو التخويف أو الاحتواء أو التلویح بورقة التصنيف ضمن دول الإرهاب الدولي. وما البلاغة اللغوية الظاهرة في صلابة الموقف إزاء الإرهاب أو الحزم التمثيلي المرئي في توجيه الاتهام سوى نمط من أنماط أداء الكاوبوي المتغطرس الهدف لإخفاء حقيقة المرامي والغايات ». خالد الحروب، الحياة ٩٣/٩/٢٣ م

التدخل المباشر تحت شعار حقن الدماء : « لابد من العودة قليلاً إلى رد الفعل الأمريكي على هذا الاتفاق ، وهو كما نؤكد جميع الدلائل ، رد فعل مؤيد ، ومرحب ، وبتجاوز ذلك إلى الاعتقاد بأن اتفاق "غزة أريحا" هو بمثابة الجزء المهم من الترتيبات الأمنية الشرق أوسطية التي تدعى إليها وتعمل من أجلها الولايات المتحدة. هذا الاعتقاد الذي يجزم المراقبون الأردنيون بصحته، يدفع إلى الاعتقاد أيضاً بأن واشنطن ستعمل بكل قوتها على محاربة أي توجه يسعى لإنفصال "اتفاق غزة أريحا" مثلاً أنها ستسعى بكل قوتها إلى توفير الترتيبات العسكرية الالزامية لإنجاز هذا الاتفاق ، ولو

بالقوة ، كما أنها ستسعى إلى توفير التمويل اللازم لمختلف المشروعات ، التي تشكل عناصر هذا الاتفاق ليصبح في يدها سلاحان اثنان : سلاح الترغيب الاقتصادي ، والترهيب الأمني. كما ستسعى واسطنطن للتدخل مباشرة إذا ما نشب أي نزاع بين الفلسطينيين أنفسهم ، خاصة وأن التوقعات تشير إلى أن "حماس" لن تسكت ، وسيكون التدخل الأمريكي تحت شعار "حقن الدماء" (!؟) ولكن بهدف تحجيم القوى الإسلامية الرافضة لاتفاق (غزة - أريحا). وستلعب الشرطة الفلسطينية دوراً بارزاً في تحجيم القوى الإسلامية وبخاصة عندما تشتراك الشرطة الفلسطينية مع الشرطة الإسرائيلية في حفظ الأمن ، انتلاقاً مما يدور من أحاديث حول تسخير دوريات شرطة مشتركة. كما سيلعب شعار "مكافحة الإرهاب" دوراً بارزاً في قمع القوى الإسلامية والراديكالية اليسارية ، التي ما تزال تصر على الرفض ».«

الأسبوع العربي ٩٣/٩/١٣

إسرائيل الاقتصادية الكبرى: « إن إسرائيل لا تستعد لخوض معركة تصدير واستيراد من وإلى أسواق الدول العربية . فهذا النوع من التجارة ستمارسه إسرائيل لمجرد كونها تريد كسر حاجز الممانعة الشعبية العربية ضد وجودها أو انخراطها في المنطقة ، على أن الهدف الاقتصادي الكبير لإسرائيل سيكون إعادة صياغة المنطقة اقتصادياً بطريقة تحتل فيها (تل أبيب) مكانة عاصمة المعلومات التكنولوجية في السوق الشرقي أوسطي الذي لن تنتهي حدوده عند تخوم ما كان يعرف حتى الأمر القريب بحدود الاتحاد السوفياتي ، بل هو لأول مرة في العهد الإسرائيلي سيجذب إليه - أي السوق - عالماً استهلاكيًّا وجغرافيًّا جديداً اسمه آسيا السوفياتية والهيمنة الإسرائيلية على حركة هذا السوق هي التي يقصدها شمعون بيريز حينما يقول بضرورة التخلص من "إسرائيل الجغرافية الكبرى" لمصلحة قيام "إسرائيل الاقتصادية الكبرى". ولعل أخطر ما في هذه الفكرة المرعية هو حقيقة أن عرفات يراهن على أن الأموال الدولية المرصودة لإنضاج إسرائيل الاقتصادية الكبرى ، ستساعد في خلال تفاعل مساراتها على ولادة القزم الفلسطيني الشريك لإسرائيل والمقطوع الصلة بالعرب ، لأن من شأن ذلك ، حسب بيريز محو سلوك العداء العربي لإسرائيل الذي قد يستمر في المستقبل انتلاقاً من ذكرة فلسطين ».«

الشروع ٩٣/٩

وبعد كل هذا (الاعتدال)؟! : « الواقع أن اشتداد الحملة العالمية في هذا الظرف على الإسلام كدين وكتفليّة يوحّي بالريبة والشك في دوافع القائمين بها. ففي كل مكان حاكم مسلم ، أو حكومة إسلامية ، أو منظمة أو هيئة تدعى إلى التكيف مع النظام الدول الجديد(!) والتعاون معه ومع من هم على رأسه بكل روح طيبة ، ولو كلف ذلك القسوة على الذات(!) والتسامح مع الآخرين من أهل الطمع بالأرض العربية وثرواتها ، والتخلص عن كل وسيلة غير سلمية في حل الخلافات ، بل تعریض النفس للخطر نتيجة مفاجأة المجتمعات التقليدية والشعوب العربية المتجمذرة في معتقداتها وأعرافها بضرورة مسامحة العدو والتفاهم معه على علاقة من نوع جديد. ومع ذلك ، لا أثر في إعلام الغرب ومنتدياته السياسية والفكرية لأي تفهّم حقيقي وتقدير حقيقي للانقلاب السلمي الذي يحدث في العالم العربي ، وفي العالم الإسلامي كله! الحكومات الغربية تقبل بمسامحة عدو مزروع بالأصل زرعاً على أرض لا يملكونها ، حبّاً منها (!؟) بالتنسيق مع الأسرة الدولية والأصدقاء الدوليين ، ومع ذلك تستمر الحملات عليها وكأنها تخوض الحرب ضد العالم ضد اليهودية ضد المسيحية الغربية. منظمة التحرير الفلسطينية تتخلى ، بمبادرة تاريخية ، عن السلاح وترضى

بجزء بسيط من وطن شعبها دفعه على الحساب وتوجل كل نقطة خلافية ، ومع ذلك يبقى المسلمين في إعلام الغرب وعند ساسته متطرفين!».

افتتاحية الحوادث ٩٣/٩/٦ م

لقطات إخبارية

«كان البيت الأبيض قد أعد ثلاًث صور خلف منصة التوقيع ، للعلم الأميركي يتوسط العلمين الفلسطيني والإسرائيلي. واعتراض إسحق رابين وشمعون بيريز لأن العلم يمثل دولة، وفي نظرهم أن فلسطين ليست دولة ، على الأقل بعد ، وأن رفع علمها يمثل اعترافاً ضمنياً. وانضم قسم البروتوكول في البيت الأبيض للجانب الإسرائيلي، مفتياً بأن رفع العلم الفلسطيني يشكل اعترافاً بوجود دولة فلسطينية. وحل الإشكال بصرف النظر عن رفع الأعلام الثلاثة. ولم يكن مقرراً تبادل المصاحفة في أي مرحلة من مراحل الاحتفال ، إلا أن ياسر عرفات - مدركاً أن أنظار العالم كله تتبع ما يحدث في "الحديقة الجنوبية" بالبيت الأبيض! - مد يده إلى رابين الذي أخذته المفاجأة وتتردد لحظات ثم أدرك خطورة رفض اليد الممتدة له ، وصافح عرفات ، ومن بعده صافح عرفات بيريز بشكل غير متوقع فمد يده وانتظر ؟ ثوان ليلتقط يد بيريز! . وكان الرئيس كلينتون قد أعد لحفل عشاء رسمي في البيت الأبيض احتفالاً بالاتفاق ، ووجهت الدعوات بالفعل إلى ١٥٠ شخصاً من نخبة السياسيين والدبلوماسيين في العاصمة الأمريكية. ويوم الاثنين صباحاً ، أبلغ رابين كلينتون أنه لن يستطيع حضور حفل العشاء لأنه يريد العودة إلى إسرائيل في أقرب وقت ممكن بعد احتفال التوقيع. وأسقط في يد البيت الأبيض الذي لم يرغب في عقد حفل عشاء تكريماً لياسر عرفات ومحمد عباس وحدهما ، وألغى الحفل في اللحظة الأخيرة!».

«نقلت إذاعة العدو الإسرائيلي عن مسؤول فلسطيني في منظمة التحرير قوله بأن المنظمة سترى كيف تتعامل مع حركة حماس إذا سمح لها بدخول قوات شرطة كافية إلى الضفة والقطاع. ومن ناحية أخرى قالت صحيفة هارتس الإسرائيلية : إن الحكومة الإسرائيلية قررت إعادة عدد من مبعدي حركة فتح ، وإطلاق سراح عدد من كبار زعماء فتح في السجون الإسرائيلية للوقوف في وجه حماس في الفترة القادمة».

المجتمع ١٩٩٣/٩/١٠ م

موساد وشين بيت تحميّن عرفات : «ازدادت المخاوف من احتمالات تعرض ياسر عرفات إلى الاغتيال في أعقاب التهديدات التي تلقاها من جهات عديدة. وذكرت صحيفة واشنطن بوست أمس في تقرير لها من تونس أن عرفات قد يتلقى حماية أمنية من جهاز الاستخبارات الإسرائيلي الخارجي "الموساد" والداخلي "الشين بيت". ونسبت الصحيفة إلى مصادر رفيعة المستوى في منظمة التحرير قوله : إن بعض كبار المسؤولين عن أمن عرفات يخططون لعقد اجتماعات في أوروبا الأسبوع المقبل مع ممثلي عن الموساد والشين بيت».

الوطن ١٤٤/٣/٢٥ هـ

المغرب الدور القديم/الجديد : «ليس من غريب الصدف أن تكون الرباط أول محطة لرابين بعد توقيعه اتفاقية السلام مع الفلسطينيين. فبعد توقيع اتفاقيات كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٩ م ، كانت الرباط أيضاً أول محطة عربية للرئيس أنور السادات، قبل ١٥ سنة ، إذ جاء السادات هو الآخر ليشكّر العاهل المغربي على الجهود التي بذلها من أجل الوصول إلى إبرام أول اتفاقية سلام بين العرب وإسرائيل. ذلك أن العاهل المغربي لعب دوراً كبيراً في ترتيب لقاءات

سرية بين موشي ديان وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك ونائب الرئيس المصري حسن التهامي ، وهي اللقاءات التي مهدت لزيارة السادات للقدس عام ١٩٧٧ م .

المجلة ١٩٩٣/١٠/٢ م

أول تحرك لسهي عرفات : «أعلنت سهي الطويل قرينة الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات أنها ستعمل على تطبيق نصوص مجلة الأحوال الشخصية التونسية في منطقتي غزة وأريحا، لأن المجلة التونسية تعطي المرأة حقوقاً كبيرة!! . وطالبت السيدة سهي في تصريح أدلت به للصحفيين ، النساء الفلسطينيات بمساندتها».

الحوادث ١٩٩٣/٩/٢٤ م

صحيفة كويتية تنشر إعلاناً لشركة سياحة إسرائيلية: «نشرت صحيفة "السياسة" الكويتية أمس إعلاناً كبيراً في الصفحة الأولى لصالح إحدى شركات السياحة الإسرائيلية ، تدعو فيه السياح الكويتيين لزيارة المسجد الأقصى بالقدس ومقام نبي الله إبراهيم بمدينة الخليل. وذكر الخبراء الاقتصاديون بالكويت : أن الأيام القادمة ستشهد نشاطاً مكثفاً لشركات السياحة الإسرائيلية ، للاستفادة من الانفراج النسبي في العلاقات العربية الإسرائيلية بعد اتفاق غزة - أريحا».

الجمهورية ١٤١٤/٣/٢٧ هـ

«تناقلت مصادر عديدة هنا في باريس أن الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني قد وقعا اتفاقاً مربياً يقضي بتزويد حكومة رابين بقمر صناعي جديد تتکفل واشنطن بإعداده لإطلاقه لنقل كل تفاصيل ومراقبة ما يدور في "غزة وأريحا" على مدار ٢٤ ساعة، بالإضافة إلى تزويد القوات الإسرائيلية بأجهزة رادار متطور وأسلحة تعمل بأشعة الليزر لضبط الأمان في "الكيان الجديد مع التركيز على القوى الإسلامية وكل المعارضين للحلول الإسلامية". من جهة أخرى تقول نفس المصادر: إن مصر تعهدت بإقامة نقاط تفتيش إسرائيلية - مصرية مشتركة للحيلولة دون عبور أي من الفلسطينيين من الأراضي المصرية من خلال قطاع غزة. إن الصهاينة توصلوا إلى تحقيق أغراضهم بالحفاظ على أمن إسرائيل عن طريق التأكد من استعداد الطرفين الفلسطينيين [خط عرفات] المصري إلى التعاون مع القوات الإسرائيلية لخنق المعارضة الإسلامية ومنعها من تسديد ضربات قوية في قلب الكيان الصهيوني ، بعد أن قام هذا الأخير بتأمين حدوده الشمالية مع لبنان إثر الاجتياح الأخير للجنوب اللبناني».

المجتمع ١٩٩٣/٩/١٤ م

«قال السيد بسام الشكعة رئيس بلدية نابلس معلقاً على اتفاقية "غزة - أريحا": إنه لم يفاجأ لأن عرفات قال عام ٨٢ وأثناء حصاره في بيروت "إنني قررت أن أركب القطار ، الأمريكي ومن أراد أن يصعد معي فليتفضل"... !! أما مسؤول فلسطيني آخر فقد بشرنا بأن رئيسه لم يقرر السير في هذا الطريق منذ عام ٨٢ بل قبل ٢٥ عاماً وأنه أجرى مباحثات سرية مع مسؤولين إسرائيليين والتقي موشي ديان ..»

الإصلاح ١٩٩٣/٩/٢٢ م

«تولت القاهرة منذ وقت مبكر تدريب ١٥٠ ضابطاً فلسطينياً على أعمال حفظ الأمن وفك الشفرات واكتشاف المخططات الإرهابية قبل تفويتها ، فضلاً عن سبل انتزاع الاعترافات من المتهمين. ويعتقد أن اللجنة الأمنية التي سيتم تشكيلها بين مصر والإدارة الفلسطينية في غزة ، سيكون لها الأولوية على غيرها من اللجان».

الأسبوع العربي ١٩٩٣/٩/١٣ م

تعليقات قصيرة

الأسير يجر فلسطين معه : «إن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات ، هو الآن مجرد أسير لدى إسرائيل ، لكن بدلاً من أن يكون أسيراً منفرداً، جرّ معه فلسطين كلها وتاريخها إلى الأسر ، وبدلاً من أن يكون أسيراً عاطلاً عن العمل ، فهـي أسير عامل كشرطـي تماماً في خدمة الدولة الصهيونية

سوبر ماركت عرفات : «هذا الاتفاق هو ثمرة من ثمار كامب ديفيد.. وإنني أتساءل : هل الهدف هو أن أقيم "سوبر ماركت" لبيع المرطبات والحلوى في غزة؟!..... هل الهدف هو إقامة بعض المنشآت الاقتصادية ، أم الهدف أكبر من ذلك وهو تحرير الأرض والإرادة؟! وأقول: إنه لا يحق لأي حكومة من الحكومات العربية أن تنتقد هذا الاتفاق ، فكلهم متعاونون مع أمريكا وكلهم يريد إنهاء المشكلة على أي وضع فلا يحق لهم أن ينتقدوا!!!»

د. عبد الوهاب المسيري، المجتمع ١٠/٩/١٩٩٣م

إرهابي ما بعد السلام : «إن الإرهابي حالياً هو كل من يقف في طريق اتفاقية "غزة - أريحا". لقد أثبت احتفال توقيع الاتفاقية هزال تهمة الإرهاب التي أعلنت واشنطن أنها تحكم علاقاتها مع العديد من الدول والتنظيمات. آخر ما بحث عنه الأميركيون (و قبلهم الإسرائيليون) في تعاملهم الأخير مع منظمة التحرير الفلسطينية كان هذا "الإرهاب" الذي دوّت الاتهامات بشأنه على مدى حوالي ربع قرن من الزمن. إن ماضي المنظمة "الإرهابي" سقط كله خلال لحظات حين قرر ياسر عرفات القبول بالشروط الإسرائيلية - الأميركيـة المتعلقة بصيغة (الحكم الذاتي المحدود) ، وفق رغبات تل أبيب وواشنطن ، والاستنتاج المنطقي في هذه الحال : إن المطلوب هو سياسة معينة والإرهابي هو الذي لا يستجيب لها».

الأسبوع العربي ١٩٩٣/٩/٢٠ م

«إذا سار هذا الاتفاق في طريق النجاح ، وإذا بدأت المساعدات الاقتصادية تنهال على الشعب الفلسطيني ، فإن عرفات سيكون قد نجح في "رسوة" شعبه لتأييد جهود المنظمة السلمية وزيادة شعبيتها وتكريسها كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني ، وفي نفس الوقت ستسلم إسرائيل لعرفات ، الإدارة الأمنية لمنطقتي غزة وأريحا ، لأجل التعامل بنجاح مع موجة التطرف الأصولي في المنطقتين ، وبذلك يكون عرفات قد أدى خدمة كبيرة لإسرائيل وأراحها من أعدى أعدائها في منطقة الحكم الذاتي ، وهي حركة التطرف الأصولي التي ترفض التعامل أو التفاوض مع اليهود لأن الإسلاميين يهدون إلى تدمير إسرائيل عاجلاً أم آجلاً !».

(صندي إكسبريس) نقلًا عن الوطن ٢٧/٩/١٩٩٣ م

أيهما أصدق : « أستطيع أن أقول للشعب الفلسطيني : إن لديه صديقاً كبيراً في البيت الأبيض .
ياسر عرفات ، المجلة (٧١١)

پاسر عرفات ، المجلة (٧١١)

يقول الرئيس الأمريكي كلينتون: «أؤكد على أن القدس عاصمة موحدة أبدية لدولة إسرائيل مع رفض كامل لإقامة دولة فلسطينية في الضفة والقطاع»

الشرق الأوسطية عنوان مرحلة ولماذا وقع الأردن؟

د/عبد الله عمر سلطان

الأردن يوقع اتفاق سلام مع إسرائيل ...

مصالحة تاريخية بين الحسن ورابين تنهي نصف قرن من الصراع ...
مولود جديد للسلام برعاية كلنتون ...

هل هي كرة الثلج تبدأ عادة بكتلة صغيرة من ذرات الماء المتجمدة ثم تقذف بها عوامل خارجية
إلى أسفل السفح فتتorm بطاراد وتكبر وهي تلقى مصيرها المنحدر؟

«لم يكن الاتفاق الأردني / الإسرائيلي في المحصلة النهائية إلا انعكاساً لوضع الذي يأخذ في التشكيل
هذه الأيام بعين اتفاق رابين / عرفات، ودليل آخر على أن من يحدد إطار اللعبة وحدود العلاقة
في المنطقة هو طرف مستفيد من سقوط (قطع الدمينو العربية) واحدة بعد أخرى في سبيل ترسيخ
النظام الشرقي أوسطي الجديد. بهذه العبارات حدد أحد كبار المحللين الفرنسيين الوضع الحالي في
المنطقة ، وأضاف : "كل ما فعله الحضور المسرحي لبيريز وحسن - ولـي العهد- هو أنه أخرج
الاتصالات الأردنية/الإسرائيلية من حيز السرية والظلم إلى السطح والواجهة الإعلامية.. لقد
حاول الملك حسين أن يخفي هذه الاتصالات التي كان آخرها قبل يومين من توقيع الاتفاق حينما
رتب مع بيريز لتفاصيل "الحلقة" ونصول وثيقة العلاقة القادمة... لكن الجميع يعرف أن رائحة
الصديق الإسرائيلي كانت تفوح بشره في الأردن بعد كل لقاء حميم .

مهنته كملك...

قبل أكثر من عقدين تحدث الملك الأردني لصحافي فرنسي عن شخصيته وطموحاته وماذا ينتظر
منه أن يقدم كملك للكيان الهاشمي ومشروعه القومي الذي فجره جده الشريف حتـتين تحت حراب
رجال المخابرات البريطانية.

لقد كانت مخاوف الملك حسين منذ صعوده إلى السلطة وهو شاب لم يتجاوز الثامنة عشرة أن يحافظ
على هذا الكيان المسمى بشرق الأردن ، وهذه المخاوف تغذيها دوماً حقيقة مزعجة ظلت تلاحق
جده الملك عبد الله تتمثل في أن هذا الكيان "صنع" على عين الإنجليز و "أقيم" في عرف وزارة
المستعمرات البريطانية "كبديل" للوطن الفلسطيني الذي وُعد به الصهاينة داراً لحملهم وموطناً
لفكـرـهم... و ، وكـأـيـ "ثـائـرـ" صـنـعـ وبـزـغـ فيـ مـشـرقـنـاـ التـعـسـ فقدـ سـارـعـ الملكـ عبدـ اللهـ إلىـ تـبـنيـ
مشروع المملكة الأردنية الهاشمية كمرحلة مؤقتة حتى يتحقق حلمه السلطوي لأكبر بأن يكون ملـكاً
لـسورـياـ وـماـ تـبـقـيـ منـ بـلـادـ الشـامـ ،ـ هـذـاـ الـوـطـنـ الـبـدـيـلـ لـفـلـسـطـيـنـ كانـ ثـمـنـهـ أـنـ يـقـبـلـ الملكـ عبدـ اللهـ
بالـكـيـانـ الصـهـيـونـيـ عـلـىـ أـرـضـ فـلـسـطـيـنـ وـيـعـتـرـفـ بـهـ سـرـاـ وـتـجـريـ الـاـتـفـاقـاتـ معـ الإـنـجـلـيـزـ وـالـيـهـودـ
مـقـابـلـ تـثـبـيـتـ مـلـكـهـ فـيـ ضـفـةـ الـأـرـدـنـ الشـرـقـيـةـ معـ وـعـوـدـ مـسـتـقـبـلـيـةـ بـتـوـلـيـتـهـ مـقـالـيدـ سـوـرـيـاـ مـقـابـلـ حـفـظـ أـمـنـ
الـكـيـانـ الصـهـيـونـيـ وـضـمـانـ سـلـامـتـهـ .ـ

وفي خضم الاتفاقيات وتنفيذها سقط الملك عبد الله برصاص الاغتيال على بوابة الحرم المقدس
وهو لم يهـنـاـ بـتـحـقـيقـ حـلـمـهـ الطـموـحـ وإنـ كـانـ قدـ تـولـيـ مـلـكـ الضـفـةـ الغـرـبـيـةـ ثـمـنـاـ لـلـمـعـرـكـةـ الـخـاسـرـةـ الـتـيـ
أـطـلـقـ عـلـيـهـ "ـالـنـكـبةـ"ـ وـهـيـ فـيـ حـقـيقـتـهـ "ـالـصـفـقـةـ"ـ الـتـيـ تـاجـرـ فـيـ سـبـيلـهـ الشـرـيفـ حـسـينـ وـذـرـيـتـهـ
بـمـقـدـرـاتـ وـمـقـدـسـاتـ وـثـوابـتـ الـأـمـةـ مـقـابـلـ وـهـجـ السـلـطـاتـ وـفـيـ سـبـيلـ غـرـورـ الـمـلـكـ...ـ

الم يكن من السخرية أن يرفض الخليفة العثماني (التركي) عبد الحميد أن يبيع فلسطين لهرتزل وهو في أمس الحاجة للمال والدعم اليهودي والغربي ، وأن يتنازل الملك عبد الله (العربي) عن مسرى جده الهاudi حصل على الله عليه وسلم- بعد أن وثق المعاهدات مع وايزمن وبين غوريون...؟!
وإن كان حلم عبد الله كبيراً وجشعه مشهوراً فإن حفيده الذي تولى الملك بعد أبيه المريض كان ولا يزال يدفع ثمن فكرة الوطن/البديل ويحاول أن يتمسك بشرق الأردن في ظل تسارع الخطى نحو الحل النهائي الذي يقتبس فكرة خبراء وزارة المستعمرات القديمة والقائلة بإزاحة أهل فلسطين عنها وأحلامهم شرق النهر بعد أن عملوا على إقامة كيان وديع مسالم مستغرب يحكمه "هاشمي" لم يطلق رصاصة واحدة في وجه اليهود مما دفع إسحاق رابين للقول :«إن وجود الملك حسين ضروري لتحقيق السلام والأمن (أمن اليهود) حيث لم تشهد حدودنا حوادث إرهاب أو شغب في ظل حكمة العاهل الأردني».

هل عرفتم إذن ماذا يعني "جلالته" بمهنته كملك؟؟؟
تحديات أضخم من الإمكانيات :

بالرغم من النعوت والصفات والمواهب الشخصية التي يتمتع بها الملك الأردني فإن الصحافي البريطاني الشهير (دايفيد هرست) صديق الحسين لخص الوضع في الأردن عشية عودة الحسين من رحلته العلاجية بالقول : إنه الملك الذي شهد أعنف التحديات في ظل التحدي الناصري والقومي وواجه بحسم الثورة. الفلسطينية التي صفيت في أيلول الأسود عام ١٩٧٠ وفاقت شعبيته أي زعيم آخر في المنطقة أيام حرب الخليج حين وقف في صف العراق ليصبح في خانة الثوريين ولذا فقد أصبح يخاف من المستقبل حيث عوارض المرض الخبيث (السرطان) ، وموجة الإسلام السياسي العاشرة ، وأهم من ذلك وضع الأردن بعد السلام وهذا كله يجعل من موقف الحسين موقفاً صعباً... وما لم يقله صديقه البريطاني ما قاله معلقون آخرون "إن الأردن أصبح مرتبطاً بوجود الحسين بوجوده يبقى وبزواله ربما يضمحل..."

إن التحدي الحقيقي قد جاء من الجهة الأخرى من ضفة نهر الأردن حيث يسعى اليهود الذين تربطهم بالعرش الهاشمي صلات سرية وثيقة أن يكون الأردن هو البديل عن أرض الرسالات التي من المستحيل - في عرفهم - أن يحكمها سواهم ، وفي ظل الوضع العربي العاجز والانهيار الذي انتاب قيادة المنظمة "العرفانية" فلا يستبعد أن يحل "الناطور الفلسطيني" محل "العاهل الهاشمي على المدى المتوسط / البعيد... ، وهكذا فقد يجد العاهل الأردني القادر أن "المملكة العربية" التي وعد ماكمون جده بها قد انكمشت ، وأن الوطن البديل قد أصبح كرة قائمة وبعيدة عن حكم ذرية الحسين. التي أدت للمعسكر الغربي أكبر خدمات في المنطقة خلال قرن : تصفية الخلافة الإسلامية العثمانية وتسليمها (مع غيرهم) فلسطين بقدسها لليهود.. وكل هذا يتم تحت لاقفه ضخمة يحملها "شريف" من آل البيت...!

الاتفاق الباht!

في ظل السباق القائم بين عرفات والحسين بعد أن اتضح أن أمريكا وإسرائيل قد قبلتا يد عرفات المدودة بخنوع وذلة ؛ وقع ولی عهد الأردن مع بيريز "سفر السلام" القادر حتى يضمن الأردن دوراً في النظام الشرقي الأوسط الجديد بالرغم من أن أول من انتقد اتفاق السلام الفلسطيني اليهودي كان "جلالة الحسين" لكنه سرعان ما ابتلع اعترافاته وتهدياته وأصبح الاتفاق في نظره "خطوة شجاعة" و "علامة جريئة" تستحق أن تحظى بكل الدعم ، فالمرحلة المقبلة هي مرحلة كسب الرضى الإسرائيلي ، والأردن له سجل مشرف (في ظل قيادة الحسين) في حفظ أمن الدولة العبرية... .

ومع كل هذا يظل التحدي أكبر من مهارة الحسين ودبلوماسيته ومراؤ غته السياسية ، صحيح أن الحسين ، كما قال هرست قد خاض بحر الظلمات العربية وخرج سالماً حتى الآن ، ولكن الصلح مع اليهود وعلاقة شرق الأردن بالدولية الفلسطينية الرمزية في غزة وجزء من القطاع تقتضي أن يدلل "الصانعون" للكيان الأردني للموضوع دون رتوش أو مقدمات لأن المسألة تمس وجود الأردن ذاته الذي وضع منذ البداية كوطن بديل لفلسطين ، الحسين في هذه المرحلة لا يواجه الأشقاء العرب ... إنه يواجه السادة الذين سمحوا له بالوجود! وإن كانت الظروف تقتضي "تأمير" وتمليك القميص الأردني للملك عبد الله وذريته في السابق ؛ فإن الأردن منذ البداية في الفكر الصهيوني / الصليبي هو الوطن الفلسطيني على المدى البعيد ، وإذا كان هذا الهدف يتعارض معه بقاء الأسرة الهاشمية واحلالها بقبائل عرفات ومنظمته فإن هذا الحل سيجد طريقه للواقع وهذه التضحية بحسن أو حسين ليست غالبة حتماً.... مع ميل العواصم الغربية إلى تفضيل القيادة الأردنية الحالية المتمرسة في قياد اللعبة بمهارة وحنكة ، خصوصاً أن على اللائمة موضوعاً يثير "مثل السلام" الأردني/الفلسطيني/الإسرائيلي والمتمثل بتحجيم الحركة الإسلامية على ضفتي النهر ، وهنا فربما خرج الحسين رابحاً ومنفذًا لهذا الهدف الثالث الذي يحلم الغرب بتحقيقه في مواجهته الحضارية الراهنة مع الإسلام ، وتلك مهمة تستحق أن يندمج فيها الممثلون حتى لا تعرف في النهاية الحسين من عرفات من رابين...!
أليست المرحلة تحمل عنوان "الشرق أو سطية"؟

شؤون العالم الإسلامي طاجكستان تدخل النفق الأفغاني

د. مالك إبراهيم الأحمد
وطئة :

مع دخول العام الثاني لاستيلاء الشيوعيين على الحكم في طاجكستان ، وما رافق ذلك من مأساة إنسانية بالغة ، تدخل القضية الطاجيكية النفق الأفغاني ، حيث أصبحت أفغانستان منطلقاً للمجاهدين الطاجيك ، ومكان استقبال لآلاف من اللاجئين ، وقد وقعت الحكومة الأفغانية الوليدة في حرج بالغ يشبه وضع (باكستان) سابقاً ، مع اختلاف طفيف وهو أن القضية الأفغانية كانت تمثل سابقاً ساحة صراع بين الأمريكان والسوفيت؟ مما تطلب دعماً أمريكياً غير مباشر للأفغان كي يقفوا أمام المد الشيوعي ، أما في القضية الطاجيكية فالتحول من المد الإسلامي في الجمهوريات هو هاجس الغرب والشرق على السواء. ونعرض هنا إماماً بتطورات الأحداث الأخيرة وموافق الفرقاء حولها.

الموقف الروسي :

تعتبر روسيا نفسها ورثة الاتحاد السوفيتي، وبالتالي فهي مسؤولة عن الدول التي خرجت من المظلة السوفيتية ، وعلى وجه الخصوص تلك الدول الفقيرة والمختلفة (الجمهوريات الإسلامية) ، وسبق للكثير من المسؤولين الروس الحديث عن الأمان القومي الروسي، وارتباطه بأمن الجمهوريات الإسلامية ، فمثلاً صرخ وزير الخارجية الروسي بقوله : « ظهرت بوادر عدم الاستقرار على طول

الحدود الروسية وبالتالي فإن صون السلام أصبح من مقومات أمن روسيا القومي واضطلاع روسيا بمسؤوليتها الخاصة عن حفظ الاستقرار في أراضي الاتحاد السوفياتي السابق...».

وبهذا المفهوم ينطلق التحرك الروسي بدءاً من الرئيس يلتسن بتصريره "لعلم الجميع أن هذه الحدود- يقصد الطاجيكية / الروسية- هي حدود روسية وليس طاجيكية».

ولقد أيده البرلمان رغم اختلافه في كثير من القضايا مع الرئيس يلتسن والغريب أن الموقف الروسي واضح وصريح ، بدءاً من التدخل المكشوف لإسقاط الحكومة الائتلافية ، ودعمه ثانياً للجبهة الشعبية الشيوعية حتى صعودها للحكم على أشلاء المسلمين.

ويتحدث المسؤولون الروس عن القضية الطاجيكية ، وكأنها جزء لا يتجزأ من روسيا ، ويقول وزير الخارجية الروسي : "لا حوار مع المعارضة- الطاجيكية- إلا بالصواريخ" وكأنه يتحدث عن معارضة داخل روسيا - وللتدخل الروسي في القضية الطاجيكية مبررات لعل أهمها :

الخوف من الأفغنة: فالتورط الروسي في أفغانستان سبب الكثير من المشكلات للروس ، ولعلها من الأسباب الرئيسية لسقوط الاتحاد السوفياتي. وبالتالي فلا يريد الزعماء الروس أن تتحول طاجكستان إلى أفغانستان ثانية تكون مصدر قلاقل لهم مستقبلاً.

- **الخوف من "المد الأصولي"** لاشك أن الانبعاث الإسلامي في الجمهوريات عموماً ، وفي طاجكستان خصوصاً ، يمثل تهديداً للنصرانية في الشمال وبالتالي فإن قيام دولة إسلامية في طاجكستان سوف يشعل الفتيل في بقية الجمهوريات وطاجكستان تمثل أضعف دولة في الجمهوريات ، وفيها أقوى حركة إسلامية في المنطقة ، والمد الإسلامي لو استفحل في نظرهم قد يصل إلى روسيا نفسها حيث يوجد فيها حوالي ٥٥ مليون مسلم مما يهدد بتفكك وسقوط الاتحاد الروسي نفسه.

الجانب الاقتصادي والثقافي :

كان الوضع الاقتصادي في الاتحاد السوفياتي سابقاً مرتبأً بطريقة خبيثة جداً فالجمهوريات الإسلامية عموماً مصدر المواد الخام والجمهوريات النصرانية مناطق الصناعة والمدنية ، ولقد امتص الكثير من خيرات هذه الجمهوريات لصالح روسيا وجاراتها ، وطاجكستان إحدى هذه الأمثلة فالبلاد مختلف جداً من النواحي المدنية والصناعية ، إنما هي فقط مصدر للمواد الخام لروسيا ففيها اليورانيوم والفضة بكميات كبيرة فضلاً عن المعادن الأخرى ، والسيطرة الروسية العسكرية على المنطقة تضمن لها استمرار بقاء هذا الشريان خصوصاً أن روسيا هي مصدر الطاقة لهذه الجمهورية وغيرها من الجمهوريات ، فهي وبالتالي تمسك بتلابيبها ، وتنظر روسيا إلى هذه الجمهوريات على أساس أنها متخلفة وغير متحضره ولا تحسن الديمقراطية ونظراً لكون روسيا دولة متقدمة وديمقراطية فإنها تشعر - كما تزعم - بمسؤوليتها الأدبية تجاه هذه الجمهوريات.

الوجود الروسي :

يعيش في الجمهوريات الإسلامية- ومنها طاجكستان : ما يقرب من ٣٠ مليون روسي يسيطرون على الإدارة والصناعة والتجارة ويعملون في الاستثمارات الروسية، ونظراً لشعور روسيا بمسؤوليتها تجاه مواطنها فإنها لا بد أن تقف مع الاستقرار في المنطقة خصوصاً مع نظرة الخوف والشك في حال وصول المسلمين إلى سدة الحكم في روسيا.

الدور الأمريكي :

كان الحضور الأمريكي في منطقة الجمهوريات مبكراً ، ولقد افتتحت الولايات المتحدة لها مقار دبلوماسية لمتابعة أوضاع الجمهوريات ، ومراقبة الوضع الأمني خصوصاً مع احتلال الموقف

الروسي عند سقوط الاتحاد السوفيتي ومع بداية الأحداث شاركت القوات الأمريكية بصفة سرية للغاية ومحذدة في معاونة الجبهة الشعبية لإسقاط الائتلاف الإسلامي الديمقراطي ، وبعد استقرار الأوضاع دعمت - صراحة - نظام (دوشانبه) الشيوعي وأيدت - بإطلاق - التدخل الروسي. وقد ذكرت مصادر إعلامية وجود وثيقة سرية بين روسيا وأمريكا تخلو فيها الثانية للأولى التحرك بحرية في الجمهوريات للتصدي للأصولية الإسلامية هناك. رغم مأساة اللاجئين الذين يقاربون المليون ، والضحايا الذين سقطوا وهم يعودون بعشرات الألوف - فإن الإنسانية الغربية والأمريكية على وجه الخصوص غائبة تماماً عن الساحة ولم يُقْدِم إلا الفئات من بعض المنظمات الصليبية.

كذلك لعبت أمريكا بالورقة الأفغانية وحركت علماًها في المنطقة لدعم الفوضى السياسية في ذلك البلد ، وإشغال هذا النظام الإسلامي الوليد بنفسه كي لا تصبح أفغانستان بالنسبة للطاجيك كباكستان سابقاً بالنسبة لأفغان وذلك خوفاً من امتداد المارد الإسلامي إلى وسط آسيا.

موقف دول الجوار:

بالنسبة للجمهوريات الثلاث (أوزبكستان - تركمانستان - كازخستان) فالحكم فيها للشيوعيين ، أما "قوقزيا" فيحكمها العلمانيون لكنهم جميعاً يقفون صفاً واحداً أمام الحركة الأصولية الإسلامية - كما يسمونها - وقد دعموا جميعاً نظام دوشانبه خوفاً من امتداد الأمر إلى جمهورياتهم ولعل أوزبكستان أكثر الدول دعماً لنظام دوشانبه فقد شاركت منذ الأيام الأولى في الأحداث عسكرياً ومادياً وبشرياً.

وبالنسبة لإيران الرافضية ذات الوجهين فإن موقفها المتباين يماثل موقفها من شيوعي أفغانستان فهي فقط تدعم طائفتها وتجهزهم للمستقبل والموقف المعلن هو العمل على عدم اتساع رقعة الحرب.

أما تركيا العلمانية فإنها أيضاً دعمت الشيوعيين واستخدمت ورقة الأوزبك ذوي الأصول التركية ودفعتهم - وهم لا يحتاجون إلى دفع - لمواجهة الإسلاميين ، ومن جانب آخر أيدت الموقف الروسي وتدخله المباشر في شؤون هذه الجمهورية.

دور الأمم المتحدة :

منذ أزمة الخليج دخلت الأمم المتحدة طرفاً مباشراً في الأزمات العالمية لكن مع غياب شبه كامل لاستقلاليتها في اتخاذ القرارات ، بل أصبحت أحياناً كثيرة طرفاً في الصراعات كما هو حالها في الصومال والبوسنة.

وفي طاجكستان كان موقف الأمم المتحدة متناسباً مع توجهاتها الحالية من المسلمين وقضائهم فوسيطهم المكلف بالقضية كان دوره مؤيداً للحكومة الطاجيكية الشيوعية ، وبدلاً من أن يكون وسيطاً نزيهاً في الأزمة ، رفض مقابلة مندوب الجبهة الرئيسية للمعارضة (حزب النهضة) وذلك أثناء زيارته لباكستان وزار مخيمات اللاجئين وطلب منهم العودة حالاً إلى ديارهم رغم معرفته بظروف هروبهم وأسبابها ، من جهة أخرى نجده يمتدح تلك الحكومة العميلة ويثير على مواقفها في حل الأزمة !!.

وضع المجاهدين الطاجيك :

بعد سيطرة الشيوعيين على الحكم في (دوشانبه) وإعدام الكثيرين من اتباع حزب النهضة هربت البقية الباقية منهم إلى الجبال وإلى أفغانستان المجاورة والتي يمثل الطاجيك فيها نسبة كبيرة من السكان وخصوصاً في الشمال.

وقد بدأ حزب النهضة بعد ذلك بتكوين قوات عسكرية لمواجهة النظام الدكتاتوري في طاجكستان مستخدماً أفغانستان منطلقاً لتحرر كاتبهم لأسباب كثيرة من أهمها الدعم الذي حصلوا عليه من إخوانهم الأفغان ، وللحدود الطويلة المشتركة (أكثر من ألف كيلو متر) مع طاجكستان.

كانت البداية عمليات اختبار وجس نبض للوضع الأمني على الحدود والذي يسيطر عليه الروس بشكل أساسي ، ولقد كانت ردة الفعل الروسية عنيفة منذ الأيام الأولى لمحاولات الاختراق ، فلقد قصفت القوات الروسية تجمعات المجاهدين واللاجئين في الطاجيكستان ، فضلاً عن التهديد الحكومي الروسي بالرد القاسي مستقبلاً إزاء أي محاولة اختراق للحدود ، وفي الجملة لم تبدأ العمليات الجهادية الفعلية حتى الآن نظراً للظروف الصعبة التي يعيشها المجاهدون وإمكاناتهم المادية المحدودة. ومن التحديات التي قد تواجهه المجاهدين مستقبلاً ولعل بوادرها ظهرت الآن حال وضع بدخشان المنطة الجبلية - ذات الاستقلال الذاتي - والمتاخمة للحدود وذات المساحة الشاسعة (٤٥٪ من مساحة طاجكستان) والتي يقطنها الإسماعيليون (الغلاة) - وإن كان عددهم محدوداً (١٨٠ ألف نسمة) - إلا أن موقعهم الاستراتيجي بالنسبة للمجاهدين له حساسية فائقة فقد شارك بعض منهم في الوقوف أمام الحكومة وبالتالي هم مصنفون ضمن المعارضه لكن الحكومة تحاول منذ مدة استمالتهم إلى جانبها وعرضت عليهم مشروعات لتطوير المنطقة ، ولقد ذكرت وسائل الإعلام استيلاءهم. على شاحنات للمجاهدين تحمل أدوية وأغذية إلى إخوانهم في الداخل مما ينبيء ب موقفهم الحقيقي حيث سيكونون شوكة في خاصرة المجاهدين كما هو حال إخوانهم الرافضة في أفغانستان.

مستقبل القضية :

لاشك أن من أسباب النصر كما بينها القرآن الكريم هو نصر المسلمين أنفسهم الله أولاً ((إن تتصرُّوا اللهَ يَنْصُرُكُمْ)) وبذلهم الأسباب المادية ثانية ((وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)) وانتصار المسلمين على أعدائهم ليس بغلبة المادة ولكن بتمسكهم بالعقيدة الصحيحة واليقين بالله والالتزام بأوامره والانتهاء عن محارمه ، أما الشيوعيون فهم ساقطون لا محالة والزمن بإذن الله كفيل بهم ، ولكن تعاضد أهل الضلاله مع بعضهم يقوى شوكتهم ويطيل أمدهم .

والحكومة الشيوعية تعرف ضعفها وافتقارها للشعبية ولذلك تعتمد كلية على الدعم الروسي والأوزبكي وقامت بعقد معايدة أمنية مع روسيا في هذا العام ، ورغم محاولات الوساطة بين الرئيس رحمونوف والمعارضة (النهضة) إلا أن الرئيس يرفضها ويتهم من يسميهما بالأصوليين بالإجرام والإرهاب وهو الوصف الذي ينطبق عليه وعلى الجبهة الشعبية تماماً والذين أودوا بحياة عشرات الآلاف فضلاً عن الجرحى وما يقارب المليون من المهاجرين ، أما عن موقف المجاهدين ، فرئيس حزب النهضة من جانبه لا يعترف بالحكومة الحالية والتي نسبها الروس والأوزبك وبالتالي فلا مجال - من وجهة نظره - للحوار معها .

الخاتمة

مع توالي الأحداث تبقى القضية الطاجيكية مغيبة إعلامياً ولا تكاد تلمح إلا إشارات قليلة هنا وهناك ورغم الوجود الإعلامي الغربي القوي في مناطق الأحداث في العالم إلا أننا نرى إهتماماً إعلامياً متعمداً للقضية في وسائل الإعلام الغربية والعربية من باب أولى ؛ لأنها عالة على الوكالات الأجنبية. وفي الحقيقة تعتبر القضية الطاجيكية لعبة الدول الكبرى ، وتجربة فريدة في مواجهة المد الأصولي المزعوم. وفي مواجهة هذا الكيد تقوم حركة الجهد بقيادة حزب النهضة الإسلامي والذي يحمل إيجابية كبيرة- لعلها استفادت من التجربة الأفغانية- إلا وهي الوحيدة ، فالفرق بين

مجموعات الجهاد الأفغانية أدى إلى ضياع ثمرة الجهاد بعد سقوط الحكم الشيعي ، وهناك مبشرات للجهاد الطاجيكي فقد سقطت قبل أيام مدينة طوس (٢٠٠ كم عن العاصمة) بأيدي المجاهدين ولعل انشغال الروس بقضاياهم المحلية ولو مؤقتاً يكون فرصة لاندفاعة قوية لذلك الجهاد الذي يحتاج إلى الدعم من كل المسلمين خصوصاً في هذه الأيام الحرجة قبل دخول الشتاء حيث تصبح الأمور صعبة جداً. فالبدار البدار لنجدة إخواننا في العقيدة والدين.

محاضرات إسلامية الصحوة الإسلامية وأزمة المثقفين في ديار الإسلام (٢)

جمال سلطان

قدمنا في القسم الأول من هذه المحاضرة ، الحديث عن أهم معالم الإيجابية في الصحوة الإسلامية الجديدة ، وهي أيضاً المعالم التي تكشف لنا أبعاداً من أزمة الثقافة في ديار الإسلام ، تلك الثقافة التي تأسست في تاريخنا الحديث على فكر الاغتراب وأدب الاغتراب وقيم الاغتراب ، وكانت في قسمها الأعظم - على عداء ظاهر أو مستخف للإسلام ، وتاريخه وشريعته وتراثه ورموزه. وهذه الحقائق التي أبرزناها في "حركة الثقافة" المعاصرة في ديار الإسلام ، والتي تشرح لنا أسرار هذه اللوحة الساخرة من الأقوال والموافق التي تصدر عن ثقافة العلمانية والاغتراب بكل تياراتها ومذاهبها ، والتي نذكر منها بعض الشوارد على سبيل التمثيل للأزمة والتأسيس لقياس : - طوال العقود الماضية ، كانت الديمقراطية هي شعار الثقافة العلمانية ، على اختلاف مذاهبها ، من أقصى اليسار (الماركسي) حتى أقصى اليمين (الليبرالية) حتى إن أعتى منظري الديكتاتورية الناصرية وما شابها ، كانوا يرفعون شعار الديمقراطية ، وقد طغى هذا الشعار على الخطاب السياسي والفكري في السنوات الأخيرة بشكل صارخ حتى وقعت واقعة الجزائر ، وأجريت تجربة ديمقراطية حرّة نظمتها الحكومة، ورتبّت دوائرها، واحتاطت لنفسها باعتقال قادة الإسلاميين ومهّدت لها بحملة إعلامية لتشويه صورتهم ، ثم كانت النتيجة- كما نعلم - الفوز الساحق للجبهة الإسلامية للإنقاذ، وأعلن الشعب الجزائري المسلم بوضوح مذهل وبحسن رائع، أنه لا يريد سوى هؤلاء يحكمونه ويقودون البلاد.

وهنا انقلب تيارات الفكر العربي بزاوية مائة وثمانين درجة ، لنرى دعاء الديمقراطية بالأمس ، ومن جعلوها ديناً ، وقدساً مقدساً ، أكثر الناس خوفاً منها ، وأول الدعاة للكفر بالديمقراطية ، وأول المنادين بتأجيل "ال الخيار الديمقراطي " وما ذلك إلا لأن "الإسلام" ومنهجه يوشك أن يحكم ، وتحالف العلمانيون واليساريون ودعاة التقدم ، وتحرر المرأة ، والليبراليون والقوميون والعرقيون تحالفوا مع اللصوص والمفسدين والطغاة والجرائم ومع الغرب الصليبي ليقفوا صفاً في وجه الشعب وفي وجه الإسلام ودعاته ورجالاته ، وأصبح الشعب الجزائري ، بل الشعوب العربية كلها: منذ ذلك الحين - متهمة في عقلها ، وفي وعيها، وفي قدرتها على الاختيار لا شيء إلا لأنها اختارت الإسلام، ولم تختر الشيوعيين أو اللصوص أو الملاحدة أو دعوة الفتنة العنصرية.

هذه الفضيحة التاريخية ما زالت أصواتها تتردد ، شاهدة على "خيانة" الثقافة العلمانية والمغتربة للشعوب ، ومجاملتها الصريرة للطغاة والمستبددين ، بل كشفت صراحة عن كون ثقافة العلمانية هي الحليف الطبيعي للاستبداد في بلاد المسلمين.

- الخلاف واضح - كما نعلم - بين الجبهة الإسلامية في السودان التي تدعم الحكومة السودانية ، وبين المعارضة السودانية علمانية وصليبية وشيوعية وعنصرية وقد يكون محور الخلاف الأكبر الذي عبرت عنه المعارضة ذاتها ، ربما مغازلة لقوى الغربية المتورثة على كل ما هو إسلامي ، هو "تبني الحكومة للمشروع الإسلامي" بغض النظر عن تفصيلات الأمر ، ولا بأس من حيث مقتضيات الخلاف السياسي بمفهومه العلماني في ذلك الخلاف والمعارضات ، أما الأمر الذي يخرج عن حدود الخلاف المشروع في أي ملة وأي مستوى ثقافي أو حضاري، أن يتناول مثقفون سودانيون وينادون بالتدخل الاستعماري في السودان لإزالة الحكومة القائمة وإحلال المعارضة الوطنية (الشريفة) مكانها!! لقد تحالف المثقفون السودانيون والشيوعيون مع العنصري المرتزق - إسرائيلياً وأمريكياً - جون قرنق بدعوى التحالف مع فصائل سودانية ، فبأي منطق إذن يتحالفون مع الصليبية العالمية والغرب الطافح حقداً على الإسلام والمسلمين ، وهو ما ينجلي الآن في البوسنة غيرها ، ما معنى المشروعية في التحالف معه لضرب أبناء وطني ودينني بمن اختلف معهم ، وبأي مسوغ أطالب بالقفز على كرسي الحكم من فوق دبابات الاستعمار؟! - سمعنا- بلا شك - بالمسألة التي وقعت في تركيا مؤخراً ، من ثورة غضب شعبي عارم أدت إلى مقتل ما يقارب الأربعين شخصاً بخلاف الإصابات ، وكان سبب الموقعة أو "الفتنة" أن العلماني المخضرم "عزيز نسين" رأى أن ما يحيق بالشعوب المسلمة أو المستضعفة ومنها الشعب التركي المسلم ، ليس هو ما يحدث في البلقان - منطقة الخطر الأولى تاريخياً على تركيا ، وما يحدث في البوسنة والصومال وأذربيجان وغيرها من ديار المسلمين ، ولا هو الغارة العنصرية واسعة النطاق التي تجتاح أوروبا اليوم ، ويروح ضحيتها- في ألمانيا خصوصاً- الأتراك المسلمين.

المثقف المستنير "عزيز نسين" رأى أن ذلك كله "لعبة صبيان" أما الضرورة التاريخية الملحة ، والمخرج من هذا الحصار الخطير ، يكمن في ترجمة رواية "آيات شيطانية" لسلمان رشدي ، وعقد ندوات حولها فننعم بسب دين الله ، وتحقيق مقدسات المسلمين ، ، وسب الشعب التركي ذاته ، وأخيراً إشعال فتنة أز هقت فيها الأرواح ودمرت فيها البلاد. لقد رأى المثقف العلماني - بغباء أو تغابي أن الطريق إلى النهضة وتحريك الأمة وصد غارات المستكبرين ، ليس إلا طريقاً واحداً أو بوابة واحدة ، هي بوابة الشيطان وأياته؟

- الشيء نفسه أو قريب منه قام ويقوم به العلمانيون والشيوخون في مصر الآن ، حيث أصدر العلماني النصراني "غالي شكري" ملفاً كاملاً في مجلة "القاهرة" أهم مجلة ثقافية مصرية الآن ، أرش مجهولون "رئاسة تحريرها إلى نصراني علماني مشبوه ، تاريخه حافل بروائح العفن الصحفى والسياسي والفكري ، من أول اشتغاله بمجلة "حوار" التي كشف النقاب عن تمويلها مباشرةً من "المخابرات الأمريكية" ، الصحفى وليد أبو ظهر في "الوطن العربي"(*) هذا المشبوه ، دون غيره من مثقفي مصر ، يوكل إليه رئاسة أخطر مجلة حكومية ثقافية والرجل كان عند الظن به ، فأصدر ملفاً في المجلة ، عن "التنوير" جعله كله للدفاع عن سلمان رشدي ، وعن نظير له محلي ، يُدعى "نصر أبو زيد" وحاول المشبوه أن يقنع أصحابه بأنه - هو والنصراني العلماني - ينور الشباب المسلم ويجذبهم إلى "الاستارة والعقلانية" بعيداً عن التطرف الإسلامي والأصوليين.

- التحالف الشيوعي العلماني في مصر ، يتوسد الآن معظم المنافذ الإعلامية والثقافية الرسمية ، وفي زفة مواجهة التطرف الديني ، وضعوا خطة "اللتنوير" كان قوامها إعادة طبع ونشر كتابات "السلف العلمانيين" التي كتبت منذ مائة عام أو يزيد لقاسم أمين وعبد الرحمن الكواكبي وأحمد لطفي السيد ورفاعة الطهطاوي وعلي عبد الرزاق وأيضاً "سلامة موسى" وكان الأمر ليس مثيراً للدهشة أن يوكل أمر هداية الشباب المسلم إلى نصراني مصري فما بالك إذا كان من نمط سلامة موسى ، الذي يحمل كل احتقار ورفض لكل ما يمت إلى العرب والمسلمين بصلة؟

- في مصر الآن حركة غريبة ومفاجئة ، بقدر ما هي مثيرة للفرح والبشر ، وتلك هي توبة نفر من الرموز الفنية الكبيرة والشهيرة - ولا سيما الفنانات - ورفضهن التمثيل جملة وتفصيلاً ، وأعلانهم البراءة من هذا الوسط المتعفن ، والتزام الفنانات منهن بالحجاب والطهر ، واستغلال العديد منهم ومنهن بالدعوة إلى الله ، خاصة في أواسط الشرائح الاجتماعية المترفة وفي أواسط النساء ، هذه الظاهرة التي يفرح لها وبها كل مؤمن أثارت حقداً مريضاً ، وغبيضاً طافحاً ، في نفوس رموز الثقافة العلمانية ، ليس في مصر فقط ، بل في أنحاء كثيرة من البلدان العربية ، وقد قاد التحالف (العلماني/الشيوعي) وأذناب الغرب ، قادوا حملة تشويه بشعة ضد هؤلاء التائبين وبخاصة التائبين ، وقد روجوا إشاعات عديدة عنهن ، منها حصولهن على مبالغ مالية طائلة من بعض الأثرياء لكي يعتزلن الفن ، ومنها الغمز بأنهن مريضات وقد ضعفت نفوسهن أمام المرض ، ومنها القول بأنهن تبن عن "انحرافات شخصية" وليس عن التمثيل والوسط الفني ، وكان الوسط الفني هو المجال الطاهر والمطهر والنزيه الشريف الذي زاد طهراً ونقاء بخروج هؤلاء المنحرفات عنه.

هذا بالرغم من أن رائحة العفن في هذا الوسط هي من الانتشار والذيوخ إلى الحد الذي يستحيل على عاقل إنكاره أو تجاهله ، ولكن الثقافة العلمانية وأذناب الغرب في ديارنا أبوا إلا أن يقولوا ما قال المجرمون في الزمن القديم :

((أَخْرُجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتْكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ)).

وعيّناً في هذا الخضم المظلم أن تسألهم عن الحرية الشخصية ، وحقوق الإنسان!.

- هذه الحادثة تذكرنا بما وقع في الأردن منذ أشهر قليلة، عندما هاج العلمانيون وماجوا، وندبوا التحضر والاستنارة ، لأن قراراً صدر بالفصل بين الجنسين في حمامات السباحة حتى لا يرى الرجال والنساء بعضهم بعضاً عرايا ، واعتبروا ذلك ردة حضارية ، وعودة إلى "القرون الوسطى" أي والله هكذا قالوا.

- هناك - أيضاً - قضية المجاهدين العرب في أفغانستان ، وهي قصة من أروع قصص الجهاد والبطولة في تاريخ العرب والمسلمين الحديث كله ، فلما فتحت ساحات الجهاد في أفغانستان ، بعد أن سدّها "المغاوير" على حدود فلسطين ، واعتنقوا كل من تسول له نفسه المساس بأمن إسرائيل ، لما فتحت ساحة الجهاد في أفغانستان هرع الشباب المسلم من العرب وغير العرب يقاتلون في سبيل الله ويدافعون عن أرض الإسلام ، حتى من الله عليهم بالنصر المبين ، والذي لا يقل من شأنه أبداً ما كان أو يكون بعد ذلك من خلاف وشقاق بين الأفغان أنفسهم . المهم في القضية أن هؤلاء المجاهدين ، في مجموعهم ساخطون على حكومات بلدانهم ، ومعارضون لسياساتها ونهجها ، ومن جهة مقابلة ، خافت بعض هذه الحكومات من عودة هؤلاء المجاهدين ، وقيامهم بأعمال عنف ، وهم على كفالة قتالية عالية ، فوّقعت هذه الموجة العارمة من التحذير من هؤلاء "اللأفغان" ، وركب العلمانيون الموجة ، وتوطّنت ثقافة التخريب في جروح المجتمعات ، لتعمق الجروح ، وتعزز الأوجاع ، وتوسّع نطاق الفتنة ، إضافة إلى هذا الانحطاط العجيب في "الحديث عن هؤلاء المجاهدين" ، بجعلهم

عملاء لأمريكا ، أو عمالء لباكستان أو مجرد مرتزقة ، وبعد أن كانت مثل هذه الشتايم وقفاً على الشيوخ عيين العرب العميل المعتمد للاتحاد السوفيتي سابقاً ، أصبح الأمر مشاعاً واجتنب سوق الشتايم السياسية لغير البين وقوميين ومحافظين وغيرهم.

إن الحقيقة التي سجلها التاريخ واعترافات الشرق والغرب ببروعة هذه الملهمة التي شهدتها أرض أفغانستان إنما تنطق بمعنى واحد لسياقنا الحالي وهو: أن شسع نعل أحد هؤلاء المجاهدين العرب لو مسح بوجه علماني من هؤلاء المورثين لطهره ، وما كنا لنتوقف عند هذه الترهات لثقافة العلمانية ، لولا ضرورات السياق لتسجيل مشاهد على أزمة المثقفين في ديار الإسلام .

وأخيراً - نذكر - من ملحوظات تصريحات المثقفين العلمانيين - ما صرّح به من سمي "الأمين العام لحزب التجمع الودي التقدمي" المصري ، وهو أكاديمي ورمز شيوعي سابق تداولت الصحف اسمه في أعقاب فضيحة نشر وثائق المخابرات السوفيتية فيما يتعلق بالرواتب التي كانت تدفعها إلـ "كي جي بي" للتقدميين المعروضين في العالم الثالث.

الرجل زار تونس منذ وقت ليس بالقصير ، وقد أعلن عبر أجهزة الإعلام التونسية أنه يطالب بجعل يوم تولي الرئيس "زين العابدين بن علي" للسلطة في تونس "يوم عيد" ليس عيداً تونسياً وحسب ، بل عيداً للعرب جمِيعاً ؟

وسبب ذلك أنه - في نظره - نجح في قمع الأصولية في بلاده!..

الهوامش:

* لقد سبق الصحفي والكاتب المعروف (محمد جلال كشك) أن كشف هذا الأمر في مجلته السابقة الشعب والأرض) - البيان -

في دائرة الضوء الأصلية والحداثة

قراءة في فكر د. زكي نجيب محمود

(1)

د. نعمان السامرائي

د. زكي نجيب محمود علم من أعلام العلمانية المعاصرة عرف بمنهجه القائم على الفلسفة الوضعية المنطقية ، التي تُهمش كل ما يتصل بعالم الغيب وعلى ضوئها ألف عدداً من الكتب من أشهرها : (خرافة الميتافيزيقا) وكان محل نقد كثير من علماء مصر ومفكريها ، لكنه بقي متمسكاً بمنهجه هذا وأعاد طبع كتابه دون تغيير يذكر سوى تعديل العنوان إلى : (موقف من الميتافيزيقا) مع مقدمة تبريرية جديدة. والحق يقال أنه بعد أن اطلع على التراث العربي تغير موقفه المهاجم إلى موقف آخر أقل حدة ، وأكثر مرواغة! ، وهذا ما وضّحه في كتابه : (تجديد الفكر العربي المعاصر) الذي اعترف فيه بجهله بالتراث العربي ودعوته إلى الجمع بين الأصالة والمعاصرة فالأسالة شكل المعاصرة مضمون.

ويسرنا في هذه المجلة أن نقدم هذه الدراسة التقويمية لفكرة بعد أن استغلت وفاته من قبل الإعلام العلماني في تكريسه رمزاً من رموز الفكر العربي المعاصر.

بيان -

بعض الأفكار والاهتمامات تندفع في الذهن ثم تخفي ، والبعض يرسب في أعماق النفس ، بحيث تبقى "تلح" على صاحبها ، وكأنها تذكر بنفسها وجودها .
وأذكر - حتى هذا اليوم - تلك الساعات التي كنا نناقش فيها - ونحن في مرحلة الدراسة المتوسطة - الأمم المتقدمة وغير المتقدمة ، وحاولنا بسذاجة أن نحدد "معايير" لذلك . ثم كرت الأعوام وكثرت وتنوعت الاهتمامات ، ولكن موضوع التقدم ومن هو المتقدم؟ لم أستطع دفعه ، وقد حملني ذلك على قراءة كل بحث أمكنني الوصول إليه ، مستهدفاً التعرف على الموضوع ، حتى تصورت في فترة أن الجواب يمكن أن أجده في كتب التاريخ أو في "تفسير التاريخ" وحملني ذلك على أن أكتب في هذا الميدان كتاباً ، ثم تابعت ما يكتب عن التغير والتطور وعن الثوابت وما هييتها .

الدكتور: زكي نجيب محمود ونظريته

قد قرأت أخيراً للدكتور زكي نجيب محمود ، فوجته يحمل هذا الاهتمام حتى ليقول (١) (... إن قضية الجمع بين أصلتنا وضرورة معايشتنا لعصرنا ، ربما كانت أهم ما تعرضت له من اهتمامات بالتفكير وبالكتابة ، ثم ما هو أكثر من ذلك ، فقد أصبحت. على يقين من أن هذه المسألة هي أم المسائل الثقافية فيه جميعاً... إذ هي حقاً القضية التي يصح أن نقول حيالها قوله "هاملت" في أزمته النفسية: أن أكون أو لا أكون ذلك هو السؤال).

يعترف بعد ذلك الرجل بصراحة بأنه في أول حياته العلمية ، وحتى أواسط السبعينيات من القرن الميلادي ، لا يرى في الحياة القومية (٢) (إلا صورة واحدة ، هي صورة الحياة كما يحياها من أبدعوا حضارة هذا العصر...).

فقد اتخذ من حضارة الغرب مقياساً يقيس به شعوب الأرض قاطبة ، فكل من اقترب من الغرب وحضارته فهو متقدم ، ومن ابتعد فهو متاخر (٣) (هذا كان الرأي عندي حتى لقد بلغت فيه حدوداً من التطرف ، الذي لم يعرف لنفسه حيطة وحذر). ثم يعقب على ذلك: بأن الأمر كان يبدو له وكأنه مجرد بديهية من البديهيات ، التي لا تحتاج حتى إلى البحث أو التأمل .

ثم يحاول طرح نظرية تزرع نوعاً من الوئام والسلام بين "الأصالة والحداثة" وقد حمله هذا الاهتمام ، لقراءة التراث ، بعد أن وضع لنفسه منهاجاً ، وراح على أساسه يقرأ التراث ، وسيطرت عليه فكرة "التطور" سيطرة أفسدت عليه منهجه ، كما استحضر بعض قراءاته للفكر الاستشرافي الغربي ، معتبراً بعض مقولاته مسلمات من مثل (٤) (إن الثقافة تراثنا هي ثقافة صدق المقوله فهو يحاول البحث لها بما يسندها فيقول: (٥) (ثقافتنا الموروثة ثقافة مدارها "الكلمة" وثقافة عصرنا مدارها "الجهاز" في بينما الكلمة الموروثة توحى إليه بشيء ، تجيء "الأجهزة" فتوصي إليه بنقيضه ، وبين النقيضين يقع - أي الإنسان عندنا - فريسة سهلة) ثم يردد مقوله المستشرقين ويوضح أمامها "كيف" فيقول: (٦) (كيف غلت النظرة العلمية على اليونان والغرب كله بعدهم - وغلت النزعة الصوفية على الشرق الأقصى)؟.

ولكنه وهو يحاول وضع منهج سلام بين "الأصالة والحداثة" ، يقول بأن الثقافة العربية كان لها القدرة على الجمع بين النظر العلمي والوجودان الصوفي .

أسئلة لتحديد المراد :

يطرح سؤالين حول الموقف الحضاري للأمة العربية اليوم هما: (٧)

١- ما هي أهم العناصر التي نعنيها حين نتحدث عن الشخصية العربية (الأصلية) وأعتقد أنها "الأصلية"؟

٢- ما هي أهم العناصر التي تتألف منها بنية الثقافة العصرية؟.

ويرى أن تحديد ذلك يساهم في صنع "المركب الواحد" وعن الشق الأول ، يرى أن هناك ذاتاً إلهية خالقة ، وعالم كائنات مخلوق لذات الله ، وبينهما كائن ميزة خالقه فجعله حاملي "أمانة" ذلك هو الإنسان ، وهو(٨) (كائن خالقي بمعنى أنه مكلف بأن يحقق في سلوكه قيمة أخلاقية محددة معينة ، أُمليت عليه ولم تكن من اختياره ، فليس من حقه أن ينسخ بعضها ، وأن يضيّف إليها ما ينافيها). ثم يضيف الدكتور أن هذا "التكليف" الأخلاقي لا يكتمل معناه إلا بالمسؤولية ، وهي أخلاقية شخصية ، فلا يحملها أحد عن أحد.(٩)

ثم يذكر أن الثقافات الأخرى لها مفاهيم مختلفة ، فالبعض يرى الأخلاق "واقعية" فما ثبت نفعه ، التزمان ، وما ظهر ضرره تركاه ، ونظرًا لتبدل النفع والضرر فإن المبادئ الأخلاقية "نسبية" وغير مطلقة ، والبعض الآخر يرى أن للإنسان مطلق الحرية أن يتخذ لنفسه ما يشاء من قرارات ، بشرط واحد: هو أن يكون مسؤولاً عن قراره ، ولا أحد يمكنه أن يملي عليه مهما كان. ثم يقرر الدكتور أن الوقفة العربية مختلفة عن كلا المذهبين .

لو أمسكنا بالقيم الثابتة الموضوعة لنا تعرضنا لخطر الجمود ولو سبّحنا أحراراً مع تيار الزمن وتغيراته ، تعرضنا لانحلال الشخصية ، وغاية ما أستطيع قوله في هذا الصدد ، هو أن قيمنا الأخلاقية الموروثة ، فيها من السعة ما يمكننا من التصرف في إطارها بدرجة من الحرية ، تكفي للحركة مع سرعة الإيقاع في عصرنا. ومن مميزات الثقافة العربية كذلك تلك الرغبة الشديدة عند الإنسان في أن يتسامي على دنيا الحوادث المتغيرة ، ليذاً بما هو ثابت و دائم ، فكل ما في الأرض والسماء فان وزائل متغير أبداً يتحول أبداً ، ففيه التمسك به ، وهو عاجز عن التماسك بذاته؟ أليس ثمة مرفاً بمحامن من أعاصير الفناء ، والصبرورة والتغيير الدائب ، من حال إلى حال؟ لنجتمي بمثل هذا المرفاً فنسلم....).

هذا الكلام وإن كان ظاهره جيد إلا أنه غير صاف تماماً من لونه المتظور ثم إن الدكتور ينساه حين يتذكر التربية "العلمانية" والتعليم العلماني، الذي تغذاه منذ صغره حتى كبره، ينسى كل ذلك حين يباشر الحديث عن "التقدم"

التقدم

يطرح الكاتب سؤالاً(١٠) (كيف التزم النظرة العلمية الصارمة ، لأساير عصري ، وأن أظل مع ذلك توافقاً إلى غيب وراء الشهادة ، يتحقق لي فيه الخلود والدوم ، لأنني محتفظاً بهذه السمة الغربية في نظري?).

سؤال جيد ، أحسب أن شيخ الإسلام ابن تيمية قد أجاب عنه حين قرر: أن لا تعارض بين العقل والنقل ، فإذا وجد التعارض أخذنا بالقطعي منها.

بعد هذا تطغى على الدكتور النزعة والتربية العلمانية فيقول(١١) (إني لأرجح أن يكون الحل في أن نعيش في عالمين يتكملاً ولا يتعارضان ، بشرط ألا نسمع لأحدهما أن يتدخل في مجال الآخر). هذه هي العلمانية (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) ولنقرأ كذلك(١٢) (بغير هذا الفصل الحاد بين العالمين يستحيل علينا التوفيق بين علمية العصر ، وصوفية الأصل الموروث).

أنا لا ألم الدكتور فكريته وتعلمه جاءت علمانية ، وقد أفسدت عليه رؤاه ، كما أفسدت منهجه ، وإذا كان الغرب - لأسباب خاصة - تبني العلمانية ؛ فلا يعني ذلك وجوب أن نتبناها ، ذلك أن الإسلام غير النصرانية الكنسية ، والشروط الموضوعية غير متوفرة عندنا ، وليس هنا مجال بحث العلمانية ، وبشروطها الموضوعية.

التقدم ، المبادئ ، التغيير ، الفردية

بعد هذا يحاول الدكتور التعريف بثقافة العصر، فيرى من المفيد دراسة "التقدم"، "المبادئ"، "التغيير"، "الفردية"، والهدف بيان أبعادها في الفكر المعاصر.

ويهمنا بحثه في "التقدم" الذي يرى فيه أنه أبرز ما يميز العصر الحديث كله ، ومنذ ثلاثة قرون وحتى اليوم (١٣).

وخطورة البحث أنه جاء منحازاً كلياً ، وجذب الكاتب إلى الوصف الأدبي ، فلنقرأ (١٤) (إنك لكي تتقى من حالة إلى حالة ، لابد أن تدع الحالة الأولى متخلفة بالنسبة للحالة الثانية ، فالنقلة لا تكون تقدماً إلا إذا كان وراء ذلك فرض هو أنها نقلة مما هو أسوأ ، إلى ما هو أفضل ، لا مما هو حسن إلى ما هو حسن آخر ، فضلاً عن أن تكون نقلة من الأفضل إلى الأسوأ ، ومعنى ذلك أن "الماضي" دائماً ، وفي كل الظروف، أقل صلاحية من الحاضر، ذلك إن زعمنا أن الحضارة "تقدم" وإن فقدت هذه الكلمة معناها.

وه هنا نضع أصابعنا على ركيزة أولى ، لا محيس لنا عن قبولها إذا أردنا أن نشرب بروح عصرنا ، وهي أن نزيل عن الماضي كل ما نتوهمه له من عصمة وكمال...).

من اليونان إلى هيغل وماركس إلى د. زكي

الذى لا أشك فيه أن الدكتور زكي بحكم دراسته الفلسفية ، قد اطلع على فكرة : أن الحضارة في تقدم مطرد ، حيث قال بذلك بعض فلاسفة اليونان ، ثم جاء هيغل فجعل منها نظرية ، فسر بها تاريخ الإنسانية ، حيث اعتبره "صراع متناقضات" ، كما قال بأن كل عهد يأتي يكون أرقى من سابقه ، والحضارة التالية يجب أن تكون أرقى من سابقتها ، بل إن أوجه الحضارة في رقي دائم لا سبيل إلى مقاومتها ، وقد نقلت الماركسيّة ذلك عن معلمها "هيغل" حرفيًا وسلّمت به - وإن لم تكف عن شتمه - .

ولكن مؤرخاً مثل توبيني يقول (١٥) (لقد ارتفع علمنا فبلغ درجة لم يسبق أن بلغها ، ومع ذلك فقد انتكسنا في نفس الوقت في الحروب الطبقية والقومية والعنصرية ، إلى أعمق قد لا يكون سمع بها أحد قبلنا ، وهذه المشاعر السيئة ، تجد لها متنفساً في أعماق القسوة الغليظة المصممة علمياً).
لقد تحمس الدكتور زكي فاندفع يؤيد "نظرياته" بأقوى من المنادين بها.

- يتبع -

منتدى القراء تعليق على مقال د. محمد أمحزون

عادل بن عمر المقرن

المكرم مدير تحرير مجلة البيان

سدده الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد:

فهذا تعقيب بسيط على مقال الدكتور الفاضل محمد أمحزون في البيان ٦٦ تحت عنوان (الحركة العلمية في بلاد الحجاز في العهد الأموي) ، ويرتكز على أمرتين هما:
- أولاً: ورد في الصفحة (٤٠) [فأول من تكلم في الإرجاء الحسن بن محمد بن الحنفية الهاشمي المدني (ت سنة ٩٩ هـ) ...] ، فيلزم التبيه هنا- حتى لا يحدث لبس أو سوء فهم - على أن الإرجاء الذي تكلم فيه الحسن بن محمد بن الحنفية ليس الإرجاء المتعلق بالإيمان والذي يعييه أهل السنة ،

وإنما هو إرجاء أمر المشتركين في الفتنة بعد خلافة الشيوخين -رضي الله عنهم- إلى الله عز وجل. ويتبين لنا ذلك من أن ابن حجر -رحمه الله- قد اطلع على الكتاب الذي وضعه الحسن بن محمد في الإرجاء، [فيقول ابن حجر: المراد بالإرجاء الذي تكلم فيه الحسن بن محمد غير الإرجاء الذي يعييه أهل السنة: المتعلق بالإيمان، وذلك أني وقفت على كتاب محمد بن الحسن المذكور... الخ (١)]

بالنالي الإرجاء المتعلق بالإيمان لم يعرّج عليه. ثانياً: ورد في الصفحة (٤) [الإرجاء الخاص بالصحابة....]، والأحوط حتى لا يحدث لبس في المعنى- فيظن ظان أن الصحابة رضوان الله عليهم قد وقع بينهم الإرجاء- أن تكون العبارة "الإرجاء الخاص بأمر الصحابة" (٢).

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش:

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/٢٦-٢٧ تحقيق د. أحمد سعد حمدان. نشر دار طيبة- الرياض.

(٢) من نسبة الفضل إلى أهله ، أشار إلى هذه الملاحظة فضيلة الشيخ عبد العزيز قاري - عند مناقشة رسالة الدكتوراة لفضيلة الشيخ د. سفر الحوالى.

ردود قصيرة

يسعدنا تواصل القراء مع مجلة البيان وتعقيباتهم وتنبيهاتهم لما ينشر في هذه المجلة ويسرنا الإجابة على بعض ما وردنا مؤخراً بما يلي:

١ - تنبيه الأستاذ حمد بن إبراهيم الحريري - الرياض - السعودية ، ومما ذكره من أن الحديث المذكور في حاشية الصفحة ٤٢ من العدد (٦٧) "إنك إن تتبع عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدتهم". بأنه ليس كما أشير إليه في صحيح البخاري وبعد مراجعتنا الحديث تبين لنا أن (الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ج ٦ / ٤ وعند أبي داود في الأدب / باب النهي عن التجسس / بلفظ (إذا ابتعى الأمير الريبة في الناس أفسدتهم). ورواه البيهقي في شعب الإيمان وورد في مشكاة المصايب بتحقيق العلامة الألباني رقم ٣٧٠٩. والبغوي في شرح السنة ١٣/١٠٦ وكذلك في جامع الأصول ج ٤/٨٣ ونحن بدورنا نشكر الأخ الكريم.

٢ - الأستاذ إبراهيم بن عبد الرحمن الخنفور اقترحه جيد وقد أرسلت لك رسالة خاصة.

٣ - الأخت عفاف الدربيهي/ يسعدنا تقديرك للمجلة والقائمين عليها والمجلة لا تنشر المختارات. وننتظر منك مشاركات قادمة إن شاء الله.

٤ - الأخوة الكرام/ محمد سعيد الزهراني، أحمد السيف، زيد الرمانى، أحمد العجروش، عبد الله النمرى ، عزيزة النصار ، محمد أبو عزام، مشاركتكم وصلت وهي محل الدراسة.

٥ - الأخذ ذات النطاقين مشاركتك وصلت ويلزم ذكر الاسم الصريح ولا مانع من النشر بالاسم الرمزي بعد ذلك. وسنطرق للرسائل الأخرى في الاعداد القادمة بأذن الله.

(٢)

ثانياً : المؤتمر الأول للدعاة في غرب إفريقيا (غانا)

انعقد هذا المؤتمر في الفترة من ١٩٩٣/٨/١٢ إلى ١٩٩٣/٨/٢٢ في مدينة ونيشي بغانة حيث يوجد مشروع (ونيشي التعليمي) التابع للمركز . وبهدف هذا المؤتمر إلى جمع أكبر عدد من الدعاة في دولة غانا والدول المجاورة لتبادل الآراء والخبرات الدعوية وعرض أهم العقبات التي تواجه الدعوة في كل دولة وحلها.

شارك في المؤتمر وفود تمثل الدول التالية :

غانة وهي الدولة المضيفة للمؤتمر وشارك منها ٤٠ داعية ، توجو وشارك منها ٢٤ داعية بوركينا فاسو وشارك منها ٢٣ داعية ، بنين وشارك منها ٢٥ داعية ، ساحل العاج وشارك منها ١٩ داعية . وعقد المؤتمر تحت شعار ((واعتصموا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا)) وكان برنامج المؤتمر قسمين:

- المحاضرات في التوعية والتوجيه وألقاها الدعاة الضيوف على المؤتمر.
- كلمات موجزة بعد الصلوات وندوات وبحوث علمية شاركت فيها الوفود المشاركة.

المحاضرات اليومية للمؤتمر كما يلي :

- ١- واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم .
- ٢- منهج الاستدلال والتلقي عند أهل السنة .
- ٣- العلمانية وأثارها الخطيرة في العالم الإسلامي .
- ٤- أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم .
- ٥- مقاصد التشريع الإسلامي .
- ٦- التوحيد مفتاح دعوة الرسل .
- ٧- منزلة الصحابة وحكم القوم فيهم .
- ٨- العلم الشرعي ضرورته وأهميته .

أهم البحوث والندوات التي شارك بها وفيها الوفود :

- ١- الإيمان شرطه وأثاره ونواقصه .
- ٢- تاريخ الدعوة السلفية في كل دولة.
- ٣- سجود السهو وأحكامه .
- ٤- شروط كلمة التوحيد .
- ٥- الأخوة الإسلامية وثمراتها.

- ٦- مشكلات الدعوة والدعاة والحلول المطروحة .
- ٧- الفرق المنتمية للإسلام ونشاطها في كل دولة .
- ٨- أنشطة الدعاة في دولهم والخطط المستقبلية .

٩- تعليم العربية والإسلام في إفريقيا الواقع والحلول.

وفي آخر يومين من المؤتمر أجريت مسابقة في القرآن الكريم لإعداد البحوث العلمية بين أعضاء الوفود المشاركة وفي اليوم الأخير وزعت جوائز على الفائزين بأفضل البحوث وكانت الجوائز تذكرة عمرة للشخصية المثالية في المؤتمر وكفالة داعية لمدة سنة فاز بها خمس دعاة واشترى بمجلة البيان وفاز بها عشر دعاة مع توزيع شهادات. التقدير على جميع المشاركين وبعض الهدايا المفيدة كالكتب والرسائل والأشرطة المسجلة للمحاضرات الإسلامية القيمة.

ثالثاً : الدورة التدريبية للخريجين في مالي:

وقد نظمها المنتدى الإسلامي بالتعاون مع رابطة الدعاة بمالى في الفترة من ٢٧/١/١٤١٤ إلى ٢٦/١٤١٤ هـ في المعهد الإسلامي وكان عدد المشاركين خمسين مشاركاً من مختلف أقاليم (مالى) وبعد حفل الافتتاح ابتدأت الدورة التي تضمنت العديد من المحاضرات ومن أهمها (صفات الداعية) ، و(غزوة أحد دروس وعبر) و(تقسيم الحديث) و(مقاصد الشريعة) و(واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم). وعقدت ندوتان بالمؤتمر وهما:

١- دور الإعلام في العمل الإسلامي.

٢- واقع المسلمين في مالي.

وقد تم تقسيم المشاركين في قاعتين دراسيتين وتخصيص صالة للأنشطة وكان عدد المحاضرات في اليوم خمس محاضرات لمدة عشرة أيام متالية.

رابعاً : الدورة التدريبية للأئمة والدعاة في بنجلاديش

وقام المنتدى الإسلامي بهذه الدورة في الفترة من ١٥/١١/١٤١٣ إلى ١٥/١٤١٤ هـ - وكان منهج هذه الدورة مملاً بالمعلومات الهامة في العقيدة والتفسير والفقه والدعوة والقرآن وتجويده وقام بالتدريس نخبة من الأساتذة والدعاة، وكان البرنامج اليومي للمتدربين يمتد خلال ٢٤ ساعة وقد جهز السكن والتغذية وقدمت مكافآت رمزية للمتدربين وكان الحوار والمشاركات باللغة العربية.

خامساً : الدورة الشرعية الأولى في مباسا بكينيا:

عقدت في معهد الشيخ خليفة بن راشد في الفترة من ١٠/٣/١٤١٤ إلى ١٠/٣/١٤١٤ هـ بإشراف المنتدى الإسلامي بهدف تشخيص الداء في أوساط الدعاة إلى الله ووصف الدواء المناسب لهم. وشارك في هذه الدورة العديد من الشباب المتردجين من الجامعات الإسلامية ومن يعملون في مجال الدعوة في كل من كينيا وتنزانيا وأوغندا والصومال . وكان برنامج الدورة محتواً على العديد من المحاضرات والندوات المختلفة وقد تجاوزت أنشطة الدورة إلى المساجد بناسا وما حولها حيث كان العلماء والدعاة المشاركون يلقيون محاضراتهم وتترجم للسواحلية من قبل الشباب المشاركون وقد طالب المشاركون بأن تعقد مثل هذه الدورة كل عام لما وجدوا فيها من الفوائد وتنشيط الهمم والتعاون وتوحيد الكلمة. وقد أعدت جوائز قيمة للمشاركين وهي تذكرة عمرة ومراجع قيمة.

الورقة الأخيرة تعالوا بنا نحدد الهدف

د. محمد بن ظافر الشهري

فيما ينتشر طبق الاستقبال (الدش) في بلاد المسلمين انتشار النار في الهشيم ، تحدث في أوربا - وفي ألمانيا بالتحديد- قصة لأحد المبتعثين العرب ، وهذه القصة جديرة بالوقوف عندها مليأً للتفكير والاعتبار.

لقد اشتري هذا العربي طبق استقبال "دش" بمائتين وخمسين ماركاً تقربياً ، مُعَللاً إقدامه على هذا الفعل بأنه "يحتاج" إلى التقاط محطات تتحدث الإنجليزية لأن المحطات السّت في ألمانيا تتحدث جميعاً الألمانية "الفصحي" ، وعندما أراد صاحبنا من الشركة أن تركب الجهاز على المنزل الذي يسكن فيه "أمته" الشركة أن يحضر موافقة خطية من صاحب المنزل ، فرضخ لأمرهم ولسان حاله يقول "ودارهم ما دمت في دارهم" ، وظنّ الرجل أن موافقة صاحب المنزل "مضمونة"

وحمد الله الذي سلمنا - نحن المسلمين - من هذه الأمور "الشكالية" فنحن نبيع ونشتري ونركب هذه الأطباقي بمنتهى الحرية.

ونعود إلى صاحب المنزل الذي كان امتعاضه شديداً لدى علمه بهذا الأمر ، لأن "الألماني" يرى أنه "يجب" أن يستأنن قبل شراء الجهاز ولهذا فقد شدد على وجوب الانتظار ثلاثة أشهر حتى يعرض الأمر على مجلس الحي "الি�تشاوروا" ويخرجوا في هذه "النازلة" بقول فصل ، كما حذر من مغبة استخدام الجهاز ولو في داخل غرف المنزل!.

وبعد ثلاثة أشهر قرر مجلس الحي أنه لا يمكن السماح بمثل هذا الفعل بأي حال من الأحوال ، وأكَدَ المجلس أن هذا ليس تدخلاً في الحريات الشخصية ولا هو من قبيل التراجع عن المبادئ "الديمقراطية" ولكنَّه حق من حقوق "المانيا" التي جاءت بهذا العربي ليرجع بالفَكَرِ الألماني ولا شيء غير الفَكَرِ الألماني . وهناك تبرير آخر أورده "المجلس" وهو أن السماح لهذا الغريب باستخدام طبق الاستقبال ربما أدى إلى انتشار هذه العادة السيئة في أوساط الألمانيين في البلد وهذا أمر خطير للغاية!!

لقد أصابتني الدهشة عندما علمت بأحداث هذه القصة فمن المؤكد أن الألمان لا يرفضون انتشار الأطباقي خوفاً من الإباحية فهم أربابها والسابقون إليها ، كما أن الرفض لم يكن لأسباب دينية أو اقتصادية "مباشرة" ، ولكن السبب الحقيقي - بعد التأمل - هو أن الألمان يحملون في صدورهم عقيدة "المانيا قبل كل شيء" ، وقد جعلوا من هذه العقيدة هدفاً يعملون من أجله ويتحمسون له بل ويقاتلون في سبيله.

إذا كان هؤلاء القوم حملوا هذا المبدأ الهزيل المتهافت ، الذي هو عبادة للتراب ، ولكنهم اتفقوا على العمل من أجله فتحقق لهم من القوة المادية ما لا يُخفى على أحد اليوم، فكيف بمن يصدق في حمل عقيدة ((فُلِّ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)) [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] إن الأمة التي تحمل هذه العقيدة وتخلص في العمل من أجلها وتجعلها همها الأول والأخير وتغرسها في قلب كل رجل وامرأة بل وفي قلب كل طفل ، لا يمكن إلا أن يمكن لها في الأرض وتحقق لها القوة الروحية والمادية وتقوم بالخلافة في الأرض على الوجه الأكمل الذي يرضاه الله تعالى معه ((وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَغَوِيٌ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزِّكَارَةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)) [الحج: ٤٠، ٤١].

تمت بعون الله والحمد لله